جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



مسألة تَمَاثُل الأجْسَام بين الأشاعِرة والنّظّام

إعداد الدكتور

أسامة شعراوي محمود محمد فراج
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط – مصر

مسألة تَمَاثُل الأجْسَام بين الأشاعِرة والنّظَّام

أسامة شعراوي محمود محمد فراج
قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر ، فرع أسيوط، مصر
البريد الالكتروني: **Osamasharawy.** 48 **@azhar.edu.eg**

ملخص البحث

يتحدث هذا البحث عن مسألةٍ يعتبرها المتكلمون من دقيق علم الكلام؛ وهي: مسألة تماثل الأجسام، وهذه المسألة كانت محل خلاف بين جمهور المتكلمين وبين إبراهيم النَّظَّام – أحد شيوخ المعتزلة–؛ فغالبية المتكلمين – أشاعرة ومعتزلة وغيرهم– يثبتون الأجسام متماثلة ومتجانسة؛ وذلك لتركَّبها من "جواهر فردة" محكوم عليها بالتماثل والتجانس، والفرع هنا تابع لأصله في هذا الحكم. وفي المقابل ذهب النَّظَّام وأتباعه إلي أن الأجسام متخالفة، وأنه لا يوجد تماثل بينها في الحقيقة، وأساس ذلك عندهم هو اعتقادهم بأنَّ الجواهر التي تتألف منها الأجسام ليس لها حدٌّ تقف عنده في حال التجزؤ، ولقد كان علماء الأشاعرة في مقدمة مَن فنّدوا مقالة النَّظَّام وأتباعه، وبيَّنوا ما فيها من خلل وقصور، ومن ثمَّ كان هذا البحث لتجلية الأمر حول هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: تماثل – الأجسام – الأشاعرة.

Question of the symmetry of bodies between Ashʿ arites and Al-Nazzam

Osama Sharawy Mahmoud Mohamed Farraj
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion and Vocation, Al-Azhar University, Assiut Branch, Egypt.
Email: Osamasharawy. 48 **@azhar.edu.eg**

Abstract:

This research speaks of an issue that speakers consider accurate speech science; It is: the question of symmetry of bodies, and this issue has been contested between the speaking public and Ibrahim Al-Nazzam - one of the elders of the Mu'tazilite: The majority of speakers - Ashʿarites, Mu'tazilite and others - prove bodies to be identical and homogeneous; This is because it is accompanied by "individual jewels", which are condemned to similarity and homogeneity, and the section here belongs to its origin in this judgment. Al-Nazzam and its followers on the other hand, held that bodies are not symmetrical and that there is really no similarity between them, and the basis for that is their belief that the jewels that make up the bodies have no limit in the event of fragmentation. And Ashʿarites scientists were at the forefront of those who denounced the article of Al-Nazzam and its followers, they pointed out their dysfunction and deficiencies. So, this research was to make it clear about this.

Keywords: Symmetry - Bodies - Al Ashʿarites.





المُقَدِّمَةُ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه...

وبعد؛؛؛

فلقد ساهمت العلوم الإسلامية في تقدُّم الفكر الإنساني بصفة عامة، واستطاع علم الكلام –بصفة خاصة – صياغة الفكر الإسلامي في صورة متطورة، عن طريق التراث الكلامي الزاخر بالقضايا المعرفية العقلية، بيان ذلك: أن القرآن الكريم قد حثنا في الكثير من آياته على النظر في خلق السموات والأرض، وتأمل الطبيعة وما فيها من موجودات للانتقال منها إلى إثبات موجدها، وقد كان علماء الكلام في طليعة المهتمين بالبحث في الطبيعة ودراسة المادة وصفاتها، والحركة والسكون، والمكان والزمان، والوجود والعدم، ومعرفة ماهية الجسم، وتركيب الأجسام، والجواهر الفردة، واستخدموا نتائج أبحاثهم ودراساتهم هذِهِ كمقدمةٍ لإثبات آرائهم الدينية، والدفاع عن العقيدة الإسلامية بالطرق العقلية والحجج المنطقية، ولهذا احتلت مسائل الطبيعيات مكاناً بارزاً بين مسائل علم الكلام، وتعدُّ مسألة "تماثل الأجسام" واحدةً من المسائل الطبيعية التي اعتمد عليها الأشاعرة في تقرير العديد من القضايا العقدية الكبرى؛ كإثبات حدوث العالم واحتياجه إلى محدِث، وإثبات معجزات الأنبياء، وإثبات الحشر والنشر والقيامة، ورغم ذلك كان هناك من المتكلمين مَنْ ينكر تماثل الأجسام وهو: إبراهيم بن سيَّار النظَّام، أحد كبار شيوخ المعتزلة، حيث ذهب إلى أن تلك

الأجسام متخالفة ومتضادة، وأقام على ذلك أدلته وبراهينه، حتى أضحت مسألة التماثل بين الأجسام نقطة خلاف واضحة فيما بينه وبين علماء الأشاعرة، لذا كان لابدَّ من سبر أغوار هذه المسألة، والبحث في بطون الكتب الكلامية؛ لاستجلاء الحقيقة والصواب في هذا الأمر. ومن ثمّ كان اختياري لموضوع هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: (**مسألة تماثل الأجسام بين الأشاعرة والنظّام**).

صعوبات البحث:

خلال كتابة هذا البحث واجهتني صعوبات يمكن بيانُ أهمِها على النحو التالي:

أولاً: عدم وجود دراسات سابقة حول هذا الموضوع، فمن خلال بحثي واطلاعي على ما سبق من كتابات حول القضايا الطبيعية في علم الكلام، وكذلك من خلال البحث في المواقع الالكترونية المهتمة بنشر الأبحاث العلمية، من خلال ما سبق لم أقف – حسْب علمي – على أحدٍ خصَّ هذه المسألة ببحث مستقل، وهذا الأمر رغم مَحْمَدتِه إلا أنه يشكل عبأ ثقيلاً على الباحث الذي يتحسس أية سابقةٍ من أبحاثٍ أخرى قد تضيء له الطريق.

ثانياً: قلة المصادر التي تحدثت عن تماثل الأجسام من الكتب الكلامية للمعتزلة والأشاعرة على السواء، فغالب هذه الكتب لم تتحدث عن هذه المسألة إلا بالقدر اليسير، وذلك على هامش الحديث عن مسألة الجوهر والعرض، والجواهر الفردة التي تتركب منها الأجسام، وتنزيه الباري (ﷻ) عن كل معاني الحدوث والجسمية.

ثالثاً: خالف إبراهيم النظَّام جموع المتكلمين في مسألة تماثل الأجسام، ومن المعروف عن النظَّام أنه ترك العديد من الكتب الكلامية لكنها ضاعت بسبب حملات الحصار التي وجهها الخلفاء – في هذا الوقت – ضد كتب المعتزلة،

الأمر الذي يجعلنا نَعرِض – في الغالب – رأي النظام من خلال كتب أنصاره من المعتزلة حيناً، ومن كتب الأشاعرة حيناً آخر، وهذا أمرٌ طبيعيٌ في مثل هذه الحالة، وهو ما رأيناه عند الكثير من أساتذتنا الكبار الذي أفردوا كتباً مستقلة للحديث عن النظَّام وآرائه الكلامية والفلسفية.

منهج البحث:

اعتمدتُ خلال سيري في هذا البحث على منهجين أساسيين هما: المنهج التحليلي، والمنهج النقدي، حيث قمتُ بتحليل الأقوال الواردة عن الأشاعرة والنظَّام حول مسألة تماثل الأجسام، بغية الوصول إلى الهدف الذي يصبو كل طرفٍ إلى تقريره والتأكيد عليه، كما أنني قمتُ بتوجيه النقد إلى آراء وأقوال النظَّام التي رأيتُ فيها مخالفة صريحة لمذهب المتكلمين على العموم، ومذهب الأشاعرة على وجه الخصوص، مدَّعماً ذلك النقد بأقوال علماء الأشاعرة، متوخياً في ذلك الرجوع إلى مصادرهم وكتبهم التراثية الأصيلة.

خطة البحث:

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: تحدثتُ فيها عن: أهمية الموضوع، وصعوبات البحث، ومنهجه، وخطته.

الفصل الأول: معنى "تماثل الأجسام"، ونبذة عن إبراهيم النظَّام.

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: في تحرير مفهوم "تماثل الأجسام".

ويتضمن مطلبين:

- **المطلب الأول:** معنى "التماثل" في اللغة والاصطلاح.

- **المطلب الثاني:** معنى "الجسم" في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: نبذة مختصرة عن إبراهيم النظَّام.

الفصل الثاني: نظرية الجوهر الفرد وأثرها في القول بتماثل الأجسام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الجوهر الفرد، وبيان أهميته في علم الكلام.

المبحث الثاني: موقف الأشاعرة والنظَّام من الجوهر الفرد.

المبحث الثالث: موقف العلم الحديث من الجوهر الفرد.

الفصل الثالث: موقف الأشاعرة والنظَّام من تماثل الأجسام.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية تماثل الأجسام في علم الكلام.

المبحث الثاني: موقف الأشاعرة من تماثل الأجسام.

المبحث الثالث: موقف النَّظّام من تماثل الأجسام.

والخاتمة: وقد تضمنت أهم نتائج البحث.

هذا، وأسال الله (سبحانه وتعالى) أنْ يمدني بالهداية والمعونة، وأن يلهمني السداد والتوفيق، وأن يعفو عن التقصير والزلل، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول

معنى "تماثل الأجسام"، ونبذة عن النظّام

المبحث الأول

في تحرير مفهوم "تماثل الأجسام"

المطلب الأول
معنى "التماثل" في اللغة والاصطلاح

أولا: معنى "التماثل" في اللغة:

مفهوم "التماثل" في اللغة مشتق من لفظ: "مِثْل" وهو يفيد معنى: المساواة والمشابهة بين الشيئين، يقال: "اسْتَوَى الشَّيئان وتَساوَيَا: تَمَاثَلاَ، والشِّبْهُ والشَّبَه والشَّبِيه: الْمثل، وأشبه الشَّيْء الشَّيْء: ماثله"(١). وفي القاموس المحيط: "المِثْلُ، بالكسر..: الشِّبْهُ"(٢). وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "الْمِيمُ وَالثَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُنَاظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ. وَهَذَا مِثْلُ هَذَا، أَيْ نَظِيرُهُ، وَالْمِثْلُ وَالْمِثَالُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ. وَرُبَّمَا قَالُوا مَثِيلٌ كَشَبِيهٍ"(٣).

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ٤/١٩٣، ٨/٦٣٩، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

(٢) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ص ١٠٥٦، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

(٣) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس ٥/٢٩٦، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ.

ويستعمل لفظ "التجانس" في معنى "التماثل" حيث يقال: "تجـانس الشَّـيئان: مُطاوع جانسَ: تماثلا، اتَّحدا في الجنس والصِّفات"[١]؛ ولهذا نرى كثيـراً مـن المتكلمين حين يتناولون موضوع هذا البحث نراهم يُعبِّرون عنه تـارة بعبـارة: "تماثل الأجسام"، وأحياناً أخرى بعبارة: "تجانس الأجسام"؛ وذلك إقـراراً مـنهم بأنَّ العبارتين تفيدان نفس المعنى.

ثانيا: معنى "التماثل" في الاصطلاح:

معرفة معنى التماثل عند المتكلمين تتضح من خلال بيانهم لحقيقة المثلين، وهم في ذلك تختلف عباراتهم ومذاهبهم، فعلماء الأشاعرة يقولون: "المثلان: كل موجودين سدَّ أحدهما مسدَّ الآخر، وربما قيل..: هما الموجودان اللذان يستويان فيما يجب ويجوز ويستحيل"[٢]، يقول ابن فورك (ت ٤٠٦هـ): "حدُّ المثلين: كل شيئين سدَّ أحدهما مسدَّ الآخر، وقام مقامه وناب منابه، وجاز عليه من الوصف ما يجوز عليه، واستحال عليه ما يستحيل عليه"[٣] مثاله: السوادان، والبياضان، والعِلْمان، والقدْرتان[٤]. وجملة العبارات الواردة في بيان حقيقة المثلين "راجعة إلى محصول واحد وهي الاستواء في صفات النفس، فكل شيئين استويا في

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: د/ أحمد مختار عمر ١/٤٠٤، عالم الكتب، ط: الأولـى ١٤٢٩هـ.

(٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: إمام الحرمين الجويني، ص ٣٤، تحقيق: د/ محمد يوسف موسى، علي عبدالمنعم عبدالحميد، مكتبة الخانجي، مصـر، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م.

(٣) الحدود في الأصول: أبو بكر محمد بن الحسن بن فـورك، ص ٩١، تحقيـق: محمـد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٩م.

(٤) الحدود في الأصول: ابن فورك، هامش، ص ٩١، تحقيق: محمد السليماني.

جميع صفات النفس، فهما مثلان"[١]. والمراد بالصفات النفسية: ما لا يحتاج في وصف الشيء به إلى تعقل أمر زائد عليه كالإنسانية، والحقيقة، والوجود، والشيئية للإنسان، وتقابلها الصفات المعنوية التي تحتاج في الوصف بها إلى تعقل أمر زائد على ذات الموصوف، وذلك كالتحيز، والحدوث[٢].

وذهب متأخرو المعتزلة "إلى أن المثلين: هما الشيئان المشتركان في أخص الصفات، ثم قالوا: الاشتراك في الأخصّ يوجب الاشتراك فيما عداه من الصفات المعللة، وعلى هذا المذهب بنوا كثيراً من الأهواء، وهو باطل. فإن الأخصَّ لو أوجب الاشتراكُ فيه الاشتراكَ في الصفات النفسية؛ لامتنع مشاركة الشيء خلافه في صفات العموم، إذ هما غير مشتركين في الأخص، فإذا فُقِدت العلة لزم انتفاء المعلول، وقد علمنا أن السواد المخالف للحركة بالأخص مشارك لها في الحدث والوجود والعرضية وغيرها، فيبطل تعليل التماثل في الصفات بالاشتراك في الأخص"[٣]. وقد ذكر المعتزلة وغيرهم أقوالاً أخرى حول حقيقة "المثلين"، وجميع هذه الأقوال بيَّن الأشاعرة ما فيها من وجوه الضعف والفساد[٤].

---

(١) الشامل في أصول الدين: إمام الحرمين الجويني، ص ٢٩٢، تحقيق: علي سامي النشار وآخرين، منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٦٩م.

(٢) شرح المواقف: الشريف علي الجرجاني ٤/٦٥ : ٦٦، ضبط وتصحيح: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: الجويني، ص ٣٤، ٣٥.

(٤) يراجع: الشامل: الجويني، ص ٢٩٢ وما بعدها، وشرح المواقف: الجرجاني ٤/٧٠ وما بعدها.

المطلب الثاني
معنى "الجسم" في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى "الجسم" في اللغة:

الْجِيمُ وَالسِّينُ وَالْمِيمُ يَدُلُّ عَلَى تَجَمُّعِ الشَّيْءِ(١)، **والجِسمُ:** يَجْمَعُ البَدَنَ وأعضاءَهُ من النَّاس والإبلِ والدَّوابِّ وَنَحْو ذَلِك مِمَّا عَظُمَ من الخَلق الجسيم(٢)، وَالْجمع: أجسام، وجُسُوم. والجُسْمان: جمَاعَة الْجِسْمِ(٣)، والجُسْمانُ: جِسْمُ الرَّجُلِ. وَيُقَالُ: إِنه لنَحيفُ الجُسْمان.. وَقَدْ جَسُمَ الشيءُ أَي عَظُمَ، فَهُوَ جَسِيمٌ وجُسام، بِالضَّمِّ(٤).

وتلك المعاني السابقة تدلنا على أنّ لفظ "الجسم" يطلق – في الأصل – على الأشياء المادية المركبة ذات الكثافة، كما أنه – أيضاً – يُستعار فيما يَدلُّ على عظائم الأمور.

ثانيا: معنى "الجسم" في الاصطلاح:

تعددت أقوال المتكلمين في تعريف "الجسم" وبيان ماهيته، فعلماء الأشاعرة يقولون: "الجسم هو المُؤَلَّف"(٥) وفي بيان أقل ما يتألف منه الجسم يقول الجويني (ت ٤٧٨هـ):

---

(١) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس ٤٥٧/١.

(٢) كتاب العين: الخليل بن أحمد ٦٠/٦، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٢٨٢/٧.

(٤) لسان العرب: جمال الدين ابن منظور ٩٩/١٢، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.

(٥) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: القاضي أبوبكر الباقلاني، ص ٣٧، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

"**إذا تألف جوهران كانا جسماً؛ إذ كل واحد مؤتلِّف مع الثاني**"(١). **ومن الأشاعرة مَن قال:** "إذا تألفَّ جوهران فهما جسمان؛ لأنَّ كل واحد منهما قام به تأليف مع الآخر، غير تأليف الآخر معه؛ إذ التأليف عَرَض، والعرَض الواحد لا يقوم بمحلين، فيكون كل واحد منهما مؤلفاً؛ إذ المؤلف ما قام به التأليف، وإذا كان مؤلفاً كان كل واحد منهما جسماً، نظراً إلى أن الجسم هو المؤتلف"(٢).

أما المعتزلة فهم يقولون في تعريف الجسم الطبيعي: "قولنا: جسم، معناه أنه طويل عريض عميق"(٣)، وهذا التعريف قال به النظَّام(٤) وبقية المعتزلة، بينما انفرد عنهم العلَّاف(٥) بقوله: "الجسم هو ماله يمين وشمال وظَهْر وبَطْن وأعلى وأسفل"(٦)، وعلى أيّة حال؛ فإنّ هذه التعاريف لمْ يكن الاهتمام فيها منصبًّا على بيان الذرات التي منها تكوين الأجسام، وإنما هي تعاريف وصفية لا تأخذ إلا

---

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: إمام الحرمين الجويني، ص ١٧.

(٢) أبكار الأفكار في أصول الدين: سيف الدين الآمدي ٩٢/٣، تحقيق: د/ أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الثانية ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

(٣) ديوان الأصول: أبو رشيد سعيد بن محمد النيسابوري، ص ٢٣٣، تحقيق: د/ محمد عبدالهادي أبو ريدة، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (بدون تاريخ).

(٤) ستأتي ترجمة النظَّام والحديث عنه في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

(٥) **أبو الهذيل العَلَّاف (١٣٥ – ٢٣٥هـ):** من أئمة المعتزلة، ولد في البصرة واشتهر بعلم الكلام، له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات. (الأعلام: الزركلي ١٣١/٧، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر ٢٠٠٢م).

(٦) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري ٢٣٦/٢، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

بأبعاد الجسم فقط[١]. ومع هذا فالمعتزلة قد اختلفوا (في أقل ما يتركب منه الجسم من الجواهر الفردة [٢]، فقال النظام: لا يتألف الجسم إلا من أجزاء غير متناهية وسيأتي تقرير مذهبه[٣] وإبطاله أيضاً. وقال الجبائي[٤]: يتألف الجسم ويتحصل من ثمانية أجزاء لا من أقل منها؛ وذلك بأنْ يوضع جزآن فيحصل الطول، ويوضع جزآن آخران على جنبيه فيحصل العَرْض، ويوضع أربعة أخرى فوقها أي فوق الأربعة الأولى فيحصل العُمق. وقال العلَّاف: يتحصَّل الجسم من ستةٍ لا من أقل منها؛ وذلك بأن يوضع ثلاثة على ثلاثة، والحق أنه يمكن تحصُّل الجسم من أربعة أجزاء بأن يوضع جزآن وبجنب أحدهما جزء ثالث وفوقه جزء آخر وبذلك تحصل الأبعاد الثلاثة. وعلى جميع التقادير فالمركَّب من جزأين أو ثلاثة ليس جوهراً فرداً ولا جسماً عندهم؛ سواء جوزوا التأليف منهما، أي: من جزأين منفردين أو من ثلاثة منفردة أم لا. وبالجملة فالمنقسم في جهة واحدة يسمونه خطاً، وفي جهتين سطحاً، وهما واسطتان بين الجوهر الفرد والجسم عندهم وداخلتان في الجسم عندنا. والنزاع لفظي راجع

---

(١) ينظر: فلسفة المعتزلة: د/ البير نصري نادر ١/١٥٧، ١٥٨، مطبعة دار نشر الثقافة، الأسكندرية.

(٢) **الجوهر الفرد:** عبارة عن جوهر لا يقبل التجزي لا بالفعل ولا بالقوة. (المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين: سيف الدين الآمدي، ص ١١٠، تحقيق: د/ حسن الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الثانية ١٣١٣هـ، ١٩٩٣م).

(٣) الفصل الثاني من هذا البحث سيكون خاصاً بالحديث عن: قضية الجوهر الفرد وأثرها في القول بتماثل الأجسام، وفيه بيان لرأي النظَّام في مقدار الأجزاء التي تتركب منها الأجسام.

(٤) **الجُبَّائي (٢٣٥ – ٣٠٣هـ):** محمد بن عبد الوهاب الجبائي أبو علي: من أئمة المعتزلة . ورئيس علماء الكلام في عصره. (الأعلام: الزركلي ٦/٢٥٦).

إلى إطلاق لفظ الجسم على المؤلَّف المنقسم ولو في جهة واحدة، أو على المؤلَّف المنقسم في الجهات الثلاث)[1].

هذه جملة الأقوال الواردة عن الأشاعرة والمعتزلة في معنى الجسم، والاختلاف حول هذا المعنى هو في حقيقته خلاف لفظي، والراجح منه ما كان موافقاً للمعنى اللغوي، كما رجَّح ذلك الآمدي (ت ٦٣١هـ)[2]، بينما المنقول عن بعض الأشاعرة: أنَّ حقيقة الجسم أظهر من ذلك[3]، وأنّ الأولى من كلِّ هذا أنْ يُقال: "إن ماهية الجسم مُتصوَّرة تصوُّراً أولياً، فلا يُشتغل بتعريفه"[4].

هذا، وحاصل ما نرمي إلى توضيحه هنا بعد تحرير لفظيّ: "التماثل، والجسم" هو أنَّ مصطلح "تماثل الأجسام" يقصد به عند علماء الكلام: أن الأجسام متحدة في الحقيقة ومختلفة في العوارض والصفات القائمة بها[5].

وهذا ما أوضحه أمام الحرمين بقوله: "والذي نعنيه بتماثل الجوهرين: أنْ يجب لأحدهما ما يجب للثاني، ويجوز عليه ما يجوز على الثاني، فإذا ثبت أنه يجب لكلِّ واحد من الجوهرين التحيِّز وسائر صفات النفس، ويجوز أنْ يقبل أحدهما أجناس أعراض الثاني، فهذا ما نعنيه بالتماثل"[6].

---

(١) شرح المواقف ٣٠٤/٦، ٣٠٥.

(٢) يراجع: أبكار الأفكار ٩٢/٣.

(٣) طوالع الأنوار من مطالع الأنظار: ناصر الدين البيضاوي، ص ١٣٣، تحقيق: عباس سليمان، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

(٤) المختصر الكلامي: الإمام محمد بن محمد بن عرفة التونسي، ص ٥٤١، تحقيق: نزار حمَّادي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، (بدون تاريخ).

(٥) ينظر: شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني ٨٣/٣، تحقيق: د/ عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط: الثانية ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٦) الشامل في أصول الدين: إمام الحرمين الجويني، ص ١٥٥.

المبحث الثاني
نبذة مختصرة عن إبراهيم النظّام

أولا: نسبه ولقبه:

هو: إبراهيم بن سيَّار بن هانئ البصري المعروف بالنظام بالظاء المعجمة المشددة[١] كان مولى لبني بُجَير بن الْحَارِث بن عبَّاد الضبعِي[٢]، ويُقال: إنه سُمي النظَّام لأنه كان نظَّامًا للكلام المنثور، والشعر الموزون، وخصومه يقولون: إنما كان ينظم الخرز في سوق البصرة ولأجل ذلك قيل له النظَّام[٣]، ولا يوجد تعارض بين أنْ يكون النَّظام سُمِّي بهذا الاسم لنظمه الخرز في شبابه - حرفةً يعيش منها - وبين أنْ يكون لُقِّب بذلك لنظمه الشعر بعد أن نضج واكتملت مواهبُه، وإذا كان القدَر قد أسعده بملَكة شعرية أجاد بها الشعر، فلا جرَم أنْ يلتمس أصحابه في ذلك ما يدفعون به التسمية الأولى؛ بما تنطوي عليه من تصغير[٤]، خاصةً إذا علمنا بأنه كَانَ أحد فرسان أهل النظر وَالكلام عَلَى مذهب المعتزلة[٥].

---

(١) الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي ٦/١٢، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي ٤/١٤٧، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٣) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ص ١١٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الثانية ١٩٧٧م.

(٤) إبراهيم بن سيَّار النظَّام وآراؤه الكلامية الفلسفية: د/ محمد عبدالهادي أبو ريدة، ص ٧، ٨، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

(٥) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي ٦/٦٢٣، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢ م.

ثانيا: حياته وثقافته:

لا تُعرف السنة التي وُلِد فيها النظَّام على التدقيق، والذي نستطيع أنْ نقوله إنَّ حياة النظَّام تقع على وجه تقريبي بين عاميّ ١٦٠ – ٢٣١هـ(١)، وكان النظَّام ابن أخت أبي الهذيل العلَّاف شيخ المعتزلة، وقد أخذ عنه الاعتزال لكنه بذَّه وتفوق عليه في شمول ثقافته وجرأته وعمقه الفلسفي(٢)، وكَانَ أيضًا متأدبًا، وله شعر دقيق المعاني عَلَى طريقة المتكلمين(٣)، والإمام البغدادي (ت ٤٢٩هـ) يذكر أنّ النظَّام: كان في زمان شبابه قد عاشر قومًا من الثنوية(٤) وقومًا من السُّمَنيَّة(٥)، وخالط بعد كبره قومًا من ملاحدة الفلاسفة، وأنه قد أخذ عن هؤلاء جميعًا(٦)، وأغلب مَنْ ترجموا للنظَّام يذكرون أنه كان يمتاز بالذكاء والثقافة

(١) ينظر: إبراهيم بن سيَّار النظَّام وآراؤه الكلامية الفلسفية: د/ محمد عبدالهادي أبو ريدة، ص ٢: ٥.

(٢) الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي ١٢/٦، وينظر: المعتزلة والفكر الحر: د/ عادل العوا، ص ١٨٦، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: الأولى.

(٣) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي ٦٢٣/٦.

(٤) **الثنوية:** هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، النُّور يكون مِنْهُ الْخيرَات وَالْمَنَافِع وَالْآخر الظلمَة يكون مِنْهُ الشرور والمضار. (الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ٤٩/٢، مؤسسة الحلبي، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: أبو المظفر الأسفراييني، ص ١٤٢، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

(٥) **السّمنية:** بضم السين وفتح الميم المنسوب إلى (سومنات) – بَلْدَة بِالْهِنْدِ– وهم قوم من عبدة الأوثان قائلون بالتناسخ وبأنّه لا طريق للعلم سوى الحسّ. (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي ٩٧٦/١، تحقيق: د/ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٦م).

(٦) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ص ١١٣.

الواسعة، وكان الجاحظ[١] يقول: ما رأيت أحداً أعلم بالكلام والفقه من النظَّام، وقال أبو عبيدة [٢]: لا ينبغي أنْ يكون في الدنيا مثله، فإني امتحنته فقلتُ له: ما عيب الزجاج؟ فقال على البديهة: يسرع إليه الكَسْر ولا يقبل الجَبْر[٣]. يقول ابن المرتضى: "رُوي أنه كان لا يكتب ولا يقرأ، وقد حفظ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وتفسيرها، مع كثرة حفظه الأشعار والأخبار واختلاف الناس في الفتيا"[٤]. وكان الجاحظ من أبرز تلاميذ النظام وأكثرهم خلطة له، وقد وصف أستاذه بالصدق التام وصوَّر عقليته تصويرًا حسناً؛ لكنه كان يعيب عليه سرعة الجزم في المسائل الأصلية قبل التثبت منها[٥]، ويتحدث الجاحظ عن شيءٍ من طَبْعِ أستاذه فيقول: "وكان أبو إسحاق إبراهيم بن سيَّار النظَّام؛ أضيق الناس صدراً بحمل سرٍّ، وكان شرَّ ما يكون إذا يؤكد عليه صاحبُ السرِّ، وكان إذا لمْ يؤكِّدْ عليه ربما نَسِيَ القصة فيَسلمُ صاحبُ السرّ"[٦].

---

(١) **الجاحِظ (١٦٣ - ٢٥٥هـ):** عمرو بن بحر، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة (الأعلام: الزركلي ٧٤/٥).

(٢) **أبو عبيدة:** مَعْمر بن المثنَّى التَّيْمِيُّ، وكان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها. (طبقات النحويين واللغويين: محمد بن الحسن الإشبيلي، ص ١٧٥، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط: الثانية).

(٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: أبو القاسم البلخي، القاضي عبدالجبار، الحاكم الجشمي، ص ٢٦٤، تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر (بدون تاريخ).

(٤) باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل: أحمد ابن يحيى المرتضى، ص ٢٩، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣١٦هـ.

(٥) ضحى الإسلام: أحمد أمين ١١١/٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: السابعة (بتصرف).

(٦) كتاب الحيوان: الجاحظ ١٨٧/٥، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط: الأولى ١٣٦٢هـ، ١٩٤٣م.

هذا، والمشهور من حياة النظَّام أنه كان مقرَّباً من الخلفاء والوزراء، يحضر مجالسهم ويشترك فيما يدور فيها من محاورات في الكلام والفلسفة وغيرهما، وأنه وقف على جميع التيارات الفكرية في عصره[١]، وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل: منها –على سبيل المثال–: قوله: إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي، وليست هي مقدورة للباري تعالى، خلافاً لأصحابه فإنهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه لا يفعلها لأنها قبيحة[٢]. ويُعلِّلُ لنا الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) تفرُّدَه بمثل هذه الآراء فيقول: "وإنما أدَّاه إلى المذاهب الباطلة التي تفرَّد بها واستشنِعَتْ منه تدقيقه وتغلغله"[٣].

وعلى الجملة؛ فلقد كان النظَّام "شخصية غريبة حقاً، يشعر هو بقوة شخصيته، وقوة عقليته، فلا يريد أنْ يقف أمامها شيء؛ فهو يفسر القرآن حسب ما يؤديه إليه عقله، ويُخضِع ما يرويه المُحدِّثون لحكم عقله، ويُطلق عقله في نقد ما رُوي من أعمال الصحابة وما رُوي من آرائهم، ولا يرضى عن الفقهاء في كثير من أقوالهم[٤]، حتى ولا يرضى عن المعتزلة في مجموعهم .. وهكذا

(١) إبراهيم بن سيَّار النظَّام وآراؤه الكلامية الفلسفية: د/ محمد عبدالهادي أبو ريدة، ص ١١ (بتصرف).

(٢) الملل والنحل: الشهرستاني ١/٥٣: ٥٥.

(٣) أمالي المرتضى: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، ص ١٨٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط: الأولى، ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م.

(٤) يراجع في ذلك: الفرق بين الفرق، ص ١١٤ وما بعدها، والملل والنحل: الشهرستاني ١/٥٧، ٥٨.

كان عقله فوق عواطفه، ورأيه وفكره فوق دينه، يريد أنْ يخضع كل شيء للمنطق، وفاتَه أنّ الدنيا منطق وفن، والإنسان عقل وشعور، والحياة رأي وعاطفة"(١).

ثالثا: نهايته ووفاته:

عندما وضع المؤرخون وكتّاب التراجم شخصية النظّام في الميزان اختلفت كلماتهم وتعددت أقوالهم في الحكم عليه، فبينما ينظر إليه خصومه على أنه من أهل الضّلال والإجرام، وأنه صاحبُ مقالات خبيثة، وأنه مات وهو سكران(٢)، نجد أنصاره وأشياعه ينكرون هذا كله ويحمدون للنظّام دينه ومواقفه في الدفاع عن الإسلام ونصرته والذب عنه عند طعن الملحدين فيه، بل إنَّ أبا الحسين الخياط – وهو من أعيان المعتزلة – يذكر ضمن حديثه عن اللحظات الأخيرة في حياة النظّام ما يدلُّ على صدق نيَّة هذا الرجل وحُسْن خاتمته، حيث يقول: "وقد أخبرني عدَّة من أصحابنا أنَّ إبراهيم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) قال وهو يجود بنفسه: اللهم إن كنت تعلم أني لم أقصر في نصرة توحيدك، ولمْ أعتقد مذهباً من المذاهب إلا لأشد به التوحيد، فما كان منها يخالف التوحيد فأنا منه بريء؛ اللهم فإن كنت تعلم أني كما وصفت فاغفر لي ذنوبي، وسهِّل عليَّ سكرة الموت. قالوا: فمات

---

(١) ضحى الإسلام: أحمد أمين ٣/١٢٦.

(٢) يراجع في ذلك: الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ص ١١٤، ١١٥، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين الذهبي ٥/٧٣٥، تحقيق: د/ بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ٢٠٠٣م.

من ساعته، وهذه هي سبيل أهل الخوف لله والمعرفة به، والله تعالى شاكر لهم ذلك"[1].

أما فيما يتعلق بتحديد تاريخ وفاته، فإن ذهاب جمهرة المؤرخين إلى أنه نبغ في عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ – ٢٢٧هـ) يجعل من الأرجح لديهم أنْ تكون وفاة النظَّام سنة ٢٣١هـ عن عمر يتراوح بين السبعين والخامسة والسبعين[2].

---

(١) الانتصار: أبو الحسين الخياط المعتزلى، ص ٤١، ٤٢، تحقيق: د/ نيبرج، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط: الأولى ١٣٤٤هـ، ١٩٢٥م، وينظر: ضحى الإسلام: أحمد أمين ١٢٠/٣.

(٢) مذاهب الإسلاميين: د/ عبدالرحمن بدوي، ص ٢٠٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧م.

الفصل الثاني

نظرية الجوهر الفرد وأثرها في القول بتماثل الأجسام

المبحث الأول

تعريف الجوهر الفرد، وبيان أهميته في علم الكلام

أولا: تعريف الجوهر الفرد:

الجوهر الفرد: هو الجزء الذي لا يتجزأ(١)، وهو عبارة عن جوهر لا يقبل التجزؤ لا بالفعل ولا بالقوة(٢) أي: جوهر ذو وضع لا يقبل الانقسام أصلًا، لا بحسب الوهم أو الفرض العقلي، وتتألف الأجسام من أفراده بانضمام بعضها إلى بعض(٣). ذلك بأنَّ "العالم: هو اسم لكل موجود سوى الله تعالى، وينقسم قسمين: جواهر وأعراض. فالجوهر كل ذي حجم متحيز، والحيّز تقدير المكان، ومعناه: أنه لا يجوز أن يكون عين ذلك الجوهر حيث هو. وأما العرض: فالمعاني القائمة بالجواهر، كالطعوم والروائح والألوان. والجوهر الفرد: هو الجزء الذي لا يتصور تجزئة عقلاً، ولا تقدير تجزئة وَهْماً. وأما الجسم: فهو المؤلَّف، وأقل الجسم جوهران بينهما تأليف"(٤). إذن؛ فعند المتكلمين "الجزء الذي لا يتجزأ أو

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي ٦٠٥/١.

(٢) المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين: سيف الدين الآمدي، ص ١١٠.

(٣) التعريفات: الجرجاني، ص ٧٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(٤) الغنية في أصول الدين: أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد، المتولي الشافعي، ص ٤٩، ٥٠، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٧م.

الجوهر الفرد: هو العنصر المكوِّن لأقل الأقسام في الجسم الطبيعي"[١].

ثانيا: أهمية الجوهر الفرد في علم الكلام:

كان أبو الهذيل العلَّاف هو أول مَن قال بفكرة "الجوهر الفرد" في العالم الإسلامي[٢]، وقد أثيرت أول أمرها في سياق الكلام في علم الله وقدرته، ذلك أنه لمّا كان علم الله وقدرته محيطين بكل شيء لقوله تعالى: ﴿...وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿...وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾[٤]، وجَبَ أن يكون كل شيءٍ قابلاً للإحاطة والعدّ، أي متناهياً، ووجب من ثمّ أنْ تكون الأشياء متناهية التجزئة، كما أن اتصاف الله (ﷻ) بصفة "المخالفة للحوادث" تقتضي أنه إذا كان الواجب ليس بذي غاية ولا نهاية، ولا يستقيم وصفه بالبعَض والكُل، فيجب أنْ يكون المُحْدث ذا غاية ونهاية، وأن يكون ذا بعَض وكُل[٥]، وفي بيان رأي أبي الهذيل هذا وسَندِه عليه، يقول أبو الحسين الخياط:

"القول الذي كان أبو الهذيل يناظر فيه هو أن للأشياء المحدثات كلاً وجميعاً وغاية ينتهي إليه في العلم بها والقدرة عليها، وذلك لمخالفة القديم للمحدث. فلمّا

---

(١) فلسفة المعتزلة: د/ البير نصري نادر ١٦١/١.

(٢) أبو الهذيل العلاف "أول متكلم إسلامي تأثر بالفلسفة": على مصطفى الغرابي، ص ٥٢، مطبعة حجازي، مصر، ط: الأولى ١٣٦٩هـ، ١٩٤٩م.

(٣) سورة الجن، الآية: ٢٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

(٥) ينظر: بنية العقل العربي: د/ محمد عابد الجابري، ص ١٧٩، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط: التاسعة ٢٠٠٩م، نظرية الجوهر الفرد الكلامية وتفريعاتها الوجودية والعقدية في ضوء العلم الحديث: خالد الدرفوفي، ص ١٠، ١١، مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، المملكة المغربية.

كان القديم عنده ليس بذي غاية ولا نهاية ولا يجري عليه بعض ولا كلّ وجَب أن يكون المحدث ذا غاية ونهاية وأن له كلّاً وجميعاً. قال: ووجدت المحدثات ذات أبعاض، وما كان كذلك فواجب أن يكون له كلٌّ وجميع، ولو جاز أن تكون أبعاض لا كلَّ لها جاز أنْ يكون كلّ وجميع ليس بذي أبعاض، فلمّا كان هذا محالاً كان الأول مثله"(١).

هكذا يقرر أبو الهذيل العلَّاف بأن جميع الموجودات في هذا العالم متناهية، وأنها مكوَّنة من أجزاء لا تتجزأ، وهو قد جمع في تدليله على ذلك بين أدلة العقل والنقل واستقراء الواقع والتجربة، فكان رأيه في الجوهر الفرد مُحْكماً من جميع جوانبه.

ثم إن فكرة الجوهر الفرد سرعان ما وُظِّفت، وعلى نطاق واسع، في القضية الأساسية في علم الكلام؛ وهي: قضية إثبات "حدوث العالم" التي اتخذ منها المتكلمون مقدمتهم الضرورية لإثبات وجود الله ووحدانيته ومخالفته لكل المخلوقات.

وطريقتهم في الاستدلال على ذلك: أن العالم إما أنْ يكون قديماً أو حادثاً، ولمَّا كان العالَم عبارة عن أجسام، وتلك الأجسام مؤلفة من أجزاء فإنَّ الحكم على العالم بالقدم والحدوث يتوقف على تحديد طبيعة تلك الأجزاء، وهم يقولون إنها لا تتجزأ إلى ما لا نهاية، بل لا بدَّ أنْ تقف التجزئة عند جزء لا يقبل التجزئة، وسموه "الجوهر الفرد"(٢).

ودليلهم على ذلك خلاصته: أن المشاهدة تدلنا على أن بعض الأجسام أكبر من بعض، فلو كانت تقبل القسمة إلى ما لا نهاية لكان عدد أجزاء الجسم

---

(١) الانتصار: أبو الحسين الخياط المعتزلي، ص ٩، ١٠.

(٢) بنية العقل العربي: د/ محمد عابد الجابري، ص ١٨٠.

الصغير، كالنملة، مساوياً لعدد أجزاء الجسم الكبير، كالفيل، ولكانا متساويين في المقدار، وهذا خلاف المُشاهد، كذلك تدلنا المشاهدة على أن الأجسام لا تخلو عن أعراض، فلا بدَّ للجواهر الفردة التي تتألف منها الأجسام أنْ تعتريها نفس الأعراض، إذ لا يمكن أن يكون الجسم بارداً – مثلاً – وتكون أجزاؤه غير باردة، وبما أن الأعراض تتغير باستمرار، فهي حادثة. وبما أن الجواهر لا تنفك عنها، إذ لا يتصور وجود جوهر بدون أعراض، وبالتالي فهي حادثة مثلها، وإذن فالأجسام حادثة. وبما أن العالم كله مؤلَّف من أجسام فهو حادث كذلك. ولمّا كان العالَم حادثاً فلا بدَّ له من مُحْدِث؛ لأن ترجيح وجوده على عدمه من غير مرجِّح محال، وذلك بناءً على أن الحادث: ما يجوز وجوده وعدمه، ويجوز أن يكون على غير ما هو عليه، وبما أن الأشياء موجودة، وعلى وجه مخصوص، فلا بدّ أن تكون هناك إرادة صادرة عن ذاتٍ واجبة الوجود رجَّحت كونها كذلك، وبالتالي فالله موجود متصف بصفات الكمال[١].

هذا، وقد تبنى غالبية المعتزلة مذهب "الجوهر الفرد"– باستثناء النظَّام – وأخذه أيضاً الأشاعرة، بل إن المذهب اكتمل تماماً مع الإمامين الأشعري (ت ٣٣٠هـ) والباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، لقد فرض هذا المذهب نفسه واستبد بمباحث الوجود الكلامية، وأصبح الجوهر الفرد حجر الزاوية والممثل الرَّسمي للطبيعيات الكلامية، وأكثر نظرياتهم اكتمالاً وثراءً، ومن المعالم المميزة لعلم الكلام بأسره[٢].

---

(١) بنية العقل العربي: د/ محمد عابد الجابري، ص ١٨٠، ١٨١، نظرية الجوهر الفرد الكلامية وتفريعاتها الوجودية والعقدية في ضوء العلم الحديث: خالد الدرفوفي، ص ١٢ (بتصرف).

(٢) الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل: د/ يمنى طريف الخولي، ص ٥٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م (بتصرف).

المبحث الثاني
موقف الأشاعرة والنظّام من الجوهر الفرد

وجَدتْ نظريةُ العلَّاف في "الجوهر الفرد" صدى عميقاً في نفوس كل مَن جاء بعده من المتكلمين، وخاصة الأشاعرة الذين تَبنّوا هذه النظرية ودافعوا عنها ودعموها بما وصلوا إليه من أبحاث[1]، فالإمام الأشعري كان يقول: "إنّ أجسام العالم متركبة من أجزاء غير متجزئة، على معنى أن كل جزء منها لا يصح أن يكون له نصف أو ثلث أو ربع، ولا يتوهم أن ينقسم أو يتبعض حتى يصير أقساماً وأبعاضاً وأجزاء"[2].

ونرى المعتزلة يوافقون الأشاعرة في أنّ "الجسم ينتهي في التجزؤ إلى حدٍّ لا تصح فيه القسمة والتجزؤ من بعد، وهو أصغر المقادير"[3]، بينما خالفَ النظَّام جمهور المتكلمين وتَبِع الفلاسفة في نَفي الجزء الذي لا يتجزأ، وزعم أن الجسم لا نهاية لأجزائه، وقال: "لا جزء إلا وله جزءٌ، ولا بعض إلّا وله بعض، ولا نصف إلّا وله نصف، وإن الجزءَ جائز تجزئته أبداً، ولا غاية له من باب التجزُّؤ"[4].

---

(١) فلسفة الجوهر الفرد في علم الكلام الإسلامي "دراسة مقارنة بالذرية اليونانية": د/ فرج بالحاج، ص ٦٤، الدار التونسية للكتاب، ط: الأولى ٢٠١٤م.

(٢) مقالات الشيخ/ أبي الحسن الأشعري: محمد بن الحسن بن فورك، ص ٢١١، تحقيق: د/ أحمد عبدالرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

(٣) التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض: الحسن بن متويه المعتزلي، ص ١٦٢، تحقيق: سامي نصر لطف، د/ فيصل بدير عون، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.

(٤) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري ٢/٢٤٤.

والمتكلمون يستدلون على إثبات الجزء الذي لا يتجزأ، وإبطـال رأي الفلاسـفة والنظَّام بأدلة منها:

الدليل الأول: ذَكَره الإمام الأشعري وهو يوضح مذهبه في الجوهر الفـرد، حيث قال: (وأما الأصل في أن للجسم نهايةً، وأن الجزء لا ينقسم فقولـه (ﷻ): ﴿...وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾(١) ومحالٌ إحصاء ما لا نهايـة لـه، ومحالٌ أن يكون الشيءُ الواحدُ ينقسم؛ لأن هذا يوجب أن يكونا شـيئين، وقـد أخبرَ أن العدد وقع عليهما)(٢).

الدليل الثاني: أن الله تعالى قادر على أن يخلق فـي أجـزاء الجسـم بـدل اجتماعها الافتراق، بحيث لا يبقى اجتماع أصلاً؛ وذلك لأن نسبة القـدرة إلـى الضدين على السواء، وإذا حصل الافتراق ثبت الجزء الذي لا يتجزأ، إذ لو كان قابلاً للتجزؤ لكان الاجتماع باقياً، وهذا خلف(٣).

الدليل الثالث: إنه – أي الجسم الذي نحن بصدده – متناه بالحجم والمقـدار؛ فهو محصور بين الطرفين المحيطين به وكـذا أجـزاؤه محصـورة بينهمـا، وانحصار ما لا يتناهى بين الحاصرين محـال؛ فاسـتحال أن تكـون أجـزاؤه الموجودة فيه بالفعل غير متناهية إلا أن يلتزم – أي الخصم – التداخل فيما بين

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

(٢) رسالة استحسان الخوض في علم الكلام: أبو الحسن الأشعري، ص ٤٤، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

(٣) شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني ٣/٢٩، ٣٠.

تلك الأجزاء(١) لكنه مما تشهد البديهة ببطلانه(٢).

الدليل الرابع: إنّ عدم تناهي الأجزاء يستلزم امتناع وصول المتحـــرك إلـــى غايةٍ مَا في المسافة لتوقفه على قطع نصفها، ونصف نصفها، وهلم جرا إلى ما لا يتناهى، وذلك لا يتصور فيما يتناهى من الزمان(٣).

وهذا الدليل أورده العلّاف خلال محاوراته مع النظّام لإرجاعه عن فكرته في الجوهر الفرد، والأصل في هذا الدليل "أن القاطع لشيء له نصف، لا يصـــح أن يقطعه إلا بعد أنْ يقطع نصفه، وإذا كان ذلك النصف له نصف آخر فكذلك، فإذا صح هذا فالنملة إذا دَبَّت على النَعْل يجب أن لا تقطعها أصلاً؛ لأن أجزاء النعل بلا نهاية، وهي لا تصير قاطعة لبعضٍ إلا وله نصفٌ يحتاج فـــي قطعـــه، ثـــم يصير كذلك أبداً، ويصير تعلق البعض بقطعها لغيره في أنـــه يـــؤدي إلـــى ألا تصير قاطعة أصلاً؛ كمَن يعلق دخوله داراً بدخوله أخرى قبلها، إنـــه لا يـــدخل شيئاً من الدور"(٤).

---

(١) **قال إبراهيم النظّام:** إن كل شيء قد يداخل ضده وخلافه، فالضد هو الممانع المفاسد لغيره مثل: الحلاوة والمرارة والحر والبرد، والخلاف مثل: الحلاوة والبرودة والحموضة والبرد، وزعم أن الخفيف قد يداخل الثقيل ورب خفيف أقل كيلاً من ثقيل وأكثر قوة منه فإذا داخله شغله يعني أن القليل الكيل الكثير القوة يشغل الكثير الكيل الثقيل القوة .. ومعنى المداخلة: أن يكون حيز أحد الجسمين حيز الآخر وأن يكون أحد الشيئين في الآخر.. وقد أنكر الناس جميعاً أن يكون جسمان في موضع واحد في حينٍ واحد أنكر ذلك جميع المختلفين من أهل الصلاة ومن قال بقوله. (مقالات الإسلاميين ٢/٢٥٠، ٢٥١).

(٢) شرح المواقف: الشريف الجرجاني ١٢/٧.

(٣) شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني ٣٤/٣ (بتصرف).

(٤) التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض: الحسن بن متويه المعتزلي، ص ١٦٩.

وقد أدّى هذا الدليل إلى تحَيُّر النظَّام، ولكي يتغلب على هذه الصعوبة لجأ إلى القول بالطَّفْرة: "وهى دعواه أن الجسم قد يكون في مكانٍ ثم يصير منه الى المكان الثالث أو العاشر منه من غير مرور بالأمكنة المتوسِّطة بينه وبين العاشر "[١].

وعامة المتكلمين ينكرون على النظَّام قوله بالطَّفرة، وأصحابه من المعتزلة يستدلون على فساد هذه الفكرة؛ فيقولون: "لو صحَّ ذلك – أي القول بالطَّفرة – لصحَّ في أحدنا أن يصير في الوقت الأول بالبصرة وفي الثاني بالصين من دون قطع هذه الأماكن، بل بأنْ يطفر ويطوي، وقد عرفنا خلافه.. وكذلك كان يجب في المحبوس في سجن أو غيره أن لا يمنعه من التصرف بأن يَطفُر، بل يجب في سدٍّ يأجوج ومأجوج أن لا يصير مانعاً لهم، فهذه وجوه من الإلزامات تتقارب، تُفسِد مذهبه"[٢].

وكذلك كان علماء الأشاعرة ينظرون إلى كلام النظَّام عن الطفرة على أنه "كلامٌ لا تقبله عقول العقلاء؛ لأن ما لا يتناهى كيف يُمكن قطعه بالطفرة؟ فصار قوله هذا مثلاً سائراً يُضرب لكل من تكلّم بكلام لا تحقيق له ولا يتقرَّر في العقل معناه"[٣].

- **الجوهر الفرد وتماثل الأجسام:**

وحيث عرفنا الأمر على هذا النحو؛ فإن الغالبية العظمى من متكلمي الإسلام يثبتون الجوهر الفرد، وعلاقة ذلك الجوهر الفرد بمسألة "تماثل الأجسام" علاقة

(١) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ص ١٢٤.

(٢) التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض: الحسن بن متويه المعتزلي، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: أبو المظفر الأسفراييني، ص ٧١.

وثيقة وظاهرة، ذلك بأنّ هذا الجوهر "هو العنصر الأول في تكـوين الأجسـام، وهو الحدّ الذي يقف عنده تجزؤها"[١]، وتلك الجواهر الفردة كلها متماثلة مهمـا اختلفت الأجسام الحاملة لها[٢]، من ثمّ اتفق غالبية القائلين بالجوهر الفرد علـى أنّ الأجسام – أيضاً – متماثلة، وهم يعنون بذلك: أنّ الذرَّات المكوِّنة للأجسـام والعالم واحدة من حيث الأساس، أي: أنها على هيئة ونمط واحد، بيان ذلك: أنّ المخالفة والمماثلة بين الجواهر ترجع لصفة الذات وما تقتضيه هذه الصفة، فإذا كانت كلٌّ الجواهر قد اشتركت في صفة الذات[٣]، وما هو مقتضى عنهـا فهـي متماثلة، أما ما عدا هاتين الصفتين فلا حظَّ له في وقوع الخلاف والوفاق، فـإذا كان لا اختلاف في الصفات التي للجواهر، بل هي متماثلة فيما بينها ثبت أنهـا متماثلة[٤]؛ وذلك أمرٌ سنبسط الكلام عنه، ونذكر الآراء فيه بالتفصـيل خـلال الفصل القادم بإذن الله تعالى.

---

(١) نظرية التكليف آراء القاضي عبدالجبار الكلامية: د/ عبد الكـريم عثمـان، ص ١٢٠، مؤسسة الرسالة.

(٢) يراجع: أبكار الأفكار ٣/٦١ وما بعدها.

(٣) يقصد بصفة الذات: صفات نفس الجوهر، وهي: التحيز، وقبول الأعـراض، والقيـام بنفسه (يراجع: أبكار الأفكار ٣/٣٦).

(٤) التصور الذري في الفكر الفلسفي الإسلامي: د/ منى أحمد أبـو زيـد، ص ٣٦: ٣٨، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولـى ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م (بتصـرف)، ويراجـع: التـذكرة فـي أحكـام الجـواهر والأعـراض: الحسـن ابن متويه المعتزلي، ص ١٣٩.

المبحث الثالث

موقف العلم الحديث من "الجوهر الفرد"

يحسن بنا ونحن نتحدث عن "الجوهر الفرد" وبيان حقيقته، والآراء الـواردة حوله؛ أنْ نتعرف – أيضاً – على موقف العلم الحديث من هذا الجوهر المسمى في علم الكلام بـــ "الجزء الذي لا يتجزأ"، ويمكننا تلخيص ذلك بأنْ نقول:

إنّ الجسم المادي يُعرف بأنه: كل ما يشغل حيزاً من الفراغ، فالماء والهواء والحديد كلها أجسام مادية، وكل جسم مادي يتركب من عناصر، فالهواء – مثلاً – مخلوط من عدة عناصر أهمها: الأوكسجين، والنتروجين، وقليل من عناصر أخرى، ومن مجموع خواص هذه العناصر تحددت خواص الهواء، وهذا معناه: أنّ العناصر هي الخطوط الأولية التي ترسم المادة في تركيبها الكيميائي: عنصراً مستقلاً أو مخلوطاً أو مركباً، وفي صورتها الطبيعية: صلبة أو سائلة أو غازية. والذرة: هي ذلك الجزء من المادة الذي يعتبر أصغر وحدة مستقرة منها(١). ونستطيع القول بأن كل شيء حولنا – بما في ذلك أنفسنا – يتكون من ذرات، والذرات جسيمات دقيقة جداً يستحيل أن يراها المرء حتى باستخدام أقوى الميكروسكوبات، ويبلغ قطر الذرة نحو جزء من مليون جزء من المليمتر، ولا يمكن للإنسان أن يتصور هذا الحجم، وعلى الرغم من أن حجم الذرة صغير جداً فإنها تحتوي على نظام فريد ومعقَّد وخال من الأخطاء، ويمكن مقارنته من حيث التطور بالنظام الذي نراه في الكون ككل. وتتكون كل ذرة من نواة وعدد من الإلكترونات تتحرك في أغلفة مدارية تبعُد مسافة كبيرة جداً عن النواة، وتوجد داخل النواة جسيمات أخرى تُسمى البروتونات

---

(١) أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي: المهندس أحمد عبد الوهاب، ص ٢١، ٢٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الثانية ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م (بتصرف).

والنيوترونات. وتجدر الإشارة إلى أن نصف قطر النواة يبلغ نحو جزء من عشرة آلاف جزء من نصف قطر الذرة، كما يساوي حجم النواة جزءاً من عشرة بلايين جزء من حجم الذرة [١].

ثم إن التجارب العلمية الحديثة أكدت وجود جسيمات ذرية أخرى أقل بكثير من تلك التي تحدثنا عنها، بيان ذلك: أنه حتى عشرين عاماً مضت، كان الاعتقاد السائد أن أصغر الجسيمات التي تتألف منها الذرات هي: البروتونات والنيوترونات، ولكن اكتُشف – في وقت قريب جداً – أن في الذرة جسيمات أصغر بكثير تقوم بتكوين الجسيمات المذكورة آنفاً، حيث كشفت البحوث التي أجريت في فيزياء الجسيمات أن البروتونات والنيوترونات التي تتألف منها الذرة تتكون فعلياً من جسيمات دون ذرية تسمى "الكواركات"، وهذه الكواركات تتخطى في صِغَر حجمها كل قدرات العقل البشري[٢]، والنموذج الذي تم وضعه عن "الكواركات" يقول: إن أحجامهم تكاد تكون منعدمة ولا يمكن وصفهم بأحجام من الأساس، لكن مع ذلك نظرياً تظل هناك قيمة لنصف قطر "الكوارك" وبالتالي له كتلة مهما كانت صغيرة، لكنَّ العلم الحديث عندما حاول – نظرياً وعلى الورق – أنْ ينزل إلى مستويات أعمق من ذلك في الصغر، وصل لطول معين وبعدها توقَّفْ !!، وهذا الطول اسمه طول "بلانك"[٣] (Planck length)، إنّ كل القوانين التي تخص النظرية الفيزيائية الكمية عجزت تماماً عن وصف المكان والزمان والجاذبية عند أطوال أصغر من طول بلانك، والذي يساوي

---

(١) معجزة الذرة: يحيى هارون، ص ٣٢: ٤٠، ترجمة: أحمد ممتاز سلطان، مراجعة: مصطفى الستيتي "بدون طبعة وتاريخ" (بتصرف).

(٢) معجزة الذرة: يحيى هارون، ص ٤٥ (بتصرف).

(٣) **ماكس بلانك (١٨٥٨ – ١٩٤٧م):** عالم فيزياء ألماني، يعتبر مؤسس نظرية الكم، وأحد أهم فيزيائيّ القرن العشرين، حاصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩١٨م. (موسوعة ويكيبيديا– الإنترنت).

تقريباً ١.٦ × ١٠$^{-٣٥}$ من المتر "واحد فاصلة ستة في عشرة أُس سالب خمسة وثلاثون من المتر" وعلى سبيل التبسيط لهذا المقدار لو أتينا بـــ "مسطرة" طولها متر، وقمنا بتقسيمها لـــ ١٦٠٠٠٠٠ تيريليون تيريليون مليون جزء، وقتها الجزء المتناهي الصغر الذي خرجنا به – منذ قليل – هو طول بلانك، ولو أردنا أن ننزل لهذا المستوى من الطول فالتعريف الفيزيائي للطول نفسه سيختل؛ لأنه لم يعد هناك معنى لكلمة طول(١).

إذا عرفنا ما سبق؛ فثمة سؤال يطرح نفسه مفاده: هل الذرات أو المركبـــات الذرية هي ما قصده المتكلمون بالجواهر الفردة؟ أم أن تعريفهم لها ينطبق أكثر على الجسيمات الدقيقة المكونة للذرة نفسها؟

إن الجواب عن هذا السؤال يقتضي منا أنْ نعيد قراءة وتحليل تعريف علماء الكلام للجوهر الفرد(٢)، وهم يعرفونه بأنه: "جوهر ذو وضع لا يقبـــل الانقســـام أصلًا، لا قطعاً ولا كسراً ولا وهماً ولا فرضاً"(٣).

وقولهم: "ذو وضع" أي: قابلاً للإشارة الحسية بمعنى أنه متحيز بالذات، فيخرج بذلك المجردات عند من يثبتها لعدم قبولها الإشارة الحسية والتحيز، وقولهم: "لا يقبل القسمة" يخرج الجسم عن أن يكون جوهراً فرداً، وقولهم: "أصلاً" يخرج السطح؛ لقبوله القسمة في بعض الجهات(٤)، وقولهم: "لا قطعاً" يعنون به امتناع تجزئه بنفوذ آلة حادة فيه، وهذا القيد ينطبق على الذرة وجميع

---

(١) مقال بعنوان: حائط بلانك: النقطة التي توقف عندها العلم بقلم: شهاب صبري، مصر، تاريخ النشر: ٢٠٢١/١/١٩م، موقع كابوس، الانترنت. (بتصرف).

(٢) ينظر: نظرية الجوهر الفرد الكلامية وتفريعاتها الوجودية والعقدية فـــي ضـــوء العلـــم الحديث، ص ٩٢.

(٣) التعريفات: الشريف الجرجاني، ص ٧٥، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي ٥٥٨/١.

(٤) التصور الذري في الفكر الفلسفي الإسلامي: د/ منى أحمد أبو زيد، ص ٢٦، ٢٧.

الجسيمات المكونة للذرة؛ لأن الآلة الحادة إنما تحمل في طرفها الحاد عدداً كبيراً جداً من الذرات، والذرة لا تقطع بمثيلتها لأنها ليست أحدّ منها، وبطريق الأولى لا تقطع الجسيمات التي هي أدق منها، لكنهم أضافوا "ولا كسراً" أي: يمتنع تفريقه بالكسر من غير نفوذ آلة حادة، وبهذا القيد يمكننا إقصاء الذرة والمركب الذري؛ لأن كلاً منهما قابل للانكسار والتفريق إلى أجزاء أصغر، بل إن العلماء نجحوا في تحقيق ذلك في مختبراتهم، فالجوهر الفرد إذن ليس هو المركب الذري، ولا الذرة – بالمفهوم الفيزيائي–، ولا البروتونات والنيوترونات المكونة لنواتها إذ هي بدورها قابلة للكسر أو الانشطار إلى جسيمات أدق منها، ومع ذلك دعونا ننظُرْ فإنّ لدينا جسيمات أخرى من المحتمل أن ينطبق عليها تعريف "الجوهر الفرد"؛ وذلك مثل: الكوارك، والالكترون، والبوزيترون، والفوتون، والنيوترينو وغيرها(١). غير أن تطبيق تعريف "الجوهر الفرد" عليها يسقطنا في إشكالٍ خلاصتُه: أنه لا واحد منها كفيل بمجرد انضمامه إلى أمثاله بتكوين الأجسام، والفرض أن الأجسام عند المتكلمين مكوَّنة من انضمام جواهر فردة متماثلة ومن ثمّ فتعريف الجوهر الفرد لا ينطبق على تلك الجسيمات(٢)، ثم إننا إذا سِرْنا مع التعريف السابق إلى نهايته فإننا نجد المتكلمين قد أضافوا قيدين آخرين وهما: قولهم: "ولا وهماً" والحق أن قضية القسمة الوهمية هذه كانت موضع خلاف بين المتكلمين، وإن كان أغلبهم يوافق على عدم جوازها؛ لأن

---

(١) هذه جسيمات ذرية تظهر في الطبيعة وفي التفاعلات النووية، فالبوزيترون: جسيم = كتلته تساوي كتلة الالكترون، لكن شحنته الكهربية موجبة فهو بذلك يعتبر مضاداً للالكترون، وإذا اقترب البوزيترون من الالكترون اتحد معه ونتج عن ذلك الفوتون، والفوتون: جسيم يمثل وحدة كمة ضوئية أو هو ذريرة ضوئية، والنيوترينو: هو جسيم عديم الشحنة، كتلته تبلغ "واحد على عشرين" من كتلة الالكترون. (أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي، ص ٤٧).

(٢) نظرية الجوهر الفرد الكلامية وتفريعاتها الوجودية والعقدية ص ٩٢، ٩٣ (بتصرف).

ما ينقسم بالوهم يجوز أن ينقسم بالفعل أيضاً[1]، وقد نبَّه الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بصورة مختصرة إلى علة وضع المتكلمين لهذه القيود السابقة، حيث قال: "مذهب جمهور المتكلمين: هو القول بتركبه – أي الجسم – من الأجزاء التي لا تتجزأ أصلاً، لا قطعاً لصغرها، ولا كسراً لصلابتها، ولا وهماً لعجز الوهم عن تمييز طرف منها عن طرف آخر "[2]، أما القيد الأخير في هذا التعريف فهو قولهم أيضاً: "ولا فرضاً" وهذا القيد يجعلنا نتساءل: هل تلك الجسيمات الدقيقة قابلة للقسمة الفرضية إلى ما لا نهاية؟

يجيب علم فيزياء الكم[3]: بأن المادة قابلة للقسمة النظرية إلى أبعد من ذلك، لكن هذه القسمة الفرضية لا بدّ أن تقف إلى حدٍّ لا يمكن تجـاوزه، وهـو مـا

---

(١) دقيق الكلام "الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة": د/ محمد باسل الطائي، ص ٤٩، عـالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠١٠م.

(٢) شرح المواقف: الشريف الجرجاني ٦/٧.

(٣) **فيزياء الكم**: هي النظرية الرياضية والفيزيائية التي تصف بنية وتطور الظواهر الفيزيائية في الزمان والمكان، في النطاق الذري وما دونه. والأصل في ذلك أنه في سنة ١٩٠٠م ظهر عالم يُدعى "ماكس بلانك" أحدث بتجاربه نَقْلَةً جديدة في عالم الفيزياء، حيث كان الاعتقاد السائد أن الطاقة مستمرة كالماء في البحر، فجاء "ماكس بلانك" ليقول بأن الطاقة ليست متصلة بل هي متقطعة مثل ومضات متقطعة ومتتابعة، أي أنه افترض أن الطاقة مقسَّمة إلى أجزاء صغيرة سمَّاها "كوانتا" أو "كوانتم" وهي: كلمة لاتينية تشير إلى أصغر كمية من الطاقة. (عالم الذرة الغريب: شاكر الكراوي، ص ١، ٥، ١٩، دار تِسراس للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، ط: الأولى ٢٠٢١م "بتصرف") فتبعاً لرأي "بلانك" تكون الطاقة مؤلَّفة من وحدات أولية، وحيثما تنبعث الطاقة يُنقَل كوانتم واحد، أو اثنان، أو مائة كوانتم، ولا يكون هناك – أبداً – جزء أو كَسْر من الكوانتم، وأضاف "بلانك": أن حجم وحدة الطاقة يتوقف على طول موجة الإشعاع الذي يُنقَل به الكوانتم، فكلما كان طول الموجة أقصر، كان الكوانتم أكبر. (نشأة الفلسفة العلمية: هانز ريشينباخ، ص ١٥٤، ١٥٥، ترجمة: فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠م "بتصرف").

يسمونه بـ"جِدار بلانك"[١] الذي يضع حداً أدنى للفترة الزمانية القابلة للقياس أو التقدير، وهذا القدر هو بحدود $10^{-٤٤}$ ثانية؛ إذ لا يمكن تجزئة الزمان دون هذا الحدّ[٢]، كما أن هذا الجدار يمنع تقسيم المسافة إلى أقل من $10^{-٣٥}$ متر، والمسافة جزء من الحيز الذي تشغله المادة؛ وبالتالي لا يمكن تقسيم المادة إلى أقل مما من شأنه شغل هذا الحيز الذي لا يتجزأ، فهذا الجدار "بلانك" يثبت الجزء الذي لا يتجزأ ولو بالفرض في الزمان والمكان والمقدار، والنتيجة أنه حتى لو كانت هناك جسيمات أدق من الكوارك، والإلكترون، والفوتون في اللحظات الأولى لخلق الكون، فقوانين الكم تمنع الاسترسال في تقسيمها إلى ما بَعدَ هذا الجدار؛ لأن القوانين الفيزيائية نفسها تفقد إذ ذاك كل مصداقيتها، فالجزء الذي لا يتجزأ ثابت على الأقل على مستوى "جدار بلانك" باعتبار أن الفيزياء برمتها تنهار دونه، وبعبارة أخرى: هذا الجدار هو الفاصل بين الفيزيقا والميتافيزيقا[٣].

هكذا ظهر لنا من أمر الفيزياء الحديثة ما يؤيد رأي المتكلمين وموقفهم الذي يقضي بإثبات الجوهر الفرد، وما يَتْبع ذلك من صحة رؤيتهم حول العالَم الطبيعي ومُكوِّناته.

---

(١) نظرية الجوهر الفرد الكلامية وتفريعاتها الوجودية والعقدية في ضوء العلم الحديث ص ٩٥ (بتصرف).

(٢) خلق الكون بين العلم والإيمان: د/ محمد باسل الطائي، ص ١٤٦، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(٣) نظرية الجوهر الفرد الكلامية وتفريعاتها الوجودية والعقدية في ضوء العلم الحديث، ص ٩٥، ٩٦ (بتصرف).

الفَصلُ الثَّالِثُ

موقف الأشاعرة والنظّام من تماثل الأجسام

المبحث الأول

أهمية تماثل الأجسام في علم الكلام

اهتمّ المتكلمون – لاسيما الأشاعرة – بالحديث عن "تماثل الأجسام"، وأوضحوا في مصنفاتهم "أنّ هذه المسألة أصل عظيم في تقرير الأصول الإسلامية؛ وذلك لأن بهذا الطريق يمكن الاستدلال على وجود الإله الفاعل المختار، وبه أيضاً: يمكن إثبات معجزات الأنبياء، وبه أيضاً: يمكن إثبات الحشر والنشر والقيامة"(١).

أما الاستدلال بتماثل الأجسام على وجود الإله الفاعل المختار فتقريره: "أنه إذا ثبت أن الأجسام متماثلة في تمام الماهية، فحينئذٍ يكون اختصاص كل واحد منها بصفته المعينة، وشكله المعين، وحيزه المعين: أمراً جائزاً، والجائز لا بدَّ له من مرجح، وذلك المرجح إنْ كان موجباً كانت نسبته إلى الكل على السوية، فامتنع كونه سبباً للصفات المختلفة في الأجسام، وإن كان قادراً فهو المطلوب"(٢)، والأصل في هذا الدليل هو قول المتكلمين "إن أجزاء الجسم ليست إلا الجواهر الفردة"(٣)، وأنه إذا كانت الأجسام مؤلَّفة من جواهر فردة، وكانت

---

(١) المطالب العالية من العلم الإلهي: فخر الدين الرازي ١٨٩/٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(٢) المطالب العالية: فخر الدين الرازي ١٨٩/٦.

(٣) شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني ٨٣/٣.

هذه حادثة فالأجسام بدورها حادثة [١]، ثم استدلالهم بهذا كلِّه على حدوث العالم الذي يعدُّ مقدمة للبرهنة على وجود الله تعالى، لأنه "ما دامت الأجسام تتألف من أجزاء لا تتجزأ فهي محدودة، والمحدود ممكن، والممكن لا بدَّ له من واجب يؤِّثر في إيجاده"[٢] وهو الله (سبحانه وتعالى).

وأما الاستدلال بتماثل الأجسام على تقرير النبوة؛ فبيان ذلك "أنّ الأجسام لمّا كانت متساوية في تمام الماهية، فحينئذٍ وجب أنْ يصح على كل واحدٍ منها ما يصح على الآخر، وحينئذٍ يكون الإتيان بالمعجزات وبخوارق العادات: أمراً ممكناً"[٣]. ومن ثمّ نرى العلامة التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) – وهو يبين أهمية الحكم بتماثل الأجسام – يقول: "ولمّا جاز على كل جسم ما يجوز على الآخر؛ كالبرد على النار، والحرق على الماء، ثبت جواز ما نقل من المعجزات، وأحوال القيامة"[٤]، ثم نراه (رحمه الله) يبين في موضع آخر أهميةَ تماثلِ الأجسام كدليلٍ عقلي على ثبوت معجزة المعراج لنبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول: "إنه – أي المعراج – أمرٌ ممكن أخبر به الصادق، ودليل الإمكان إما تماثل الأجسام؛ فيجوز الخرق على السماء كالأرض، وعروج الإنسان كغيره، وإما عدم دليل الامتناع وأنه لا يلزم من فرض وقوعه محال"[٥].

وأما الاستدلال بتماثل الأجسام على إثبات الحشر والنشر والقيامة؛ فتقريره:

---

(١) في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية "المعتزلة": د/ أحمد محمود صبحي، ص ٢١٣، دار النهضة العربية، بيروت، ط: الخامسة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(٢) نظرية التكليف آراء القاضي عبدالجبار الكلامية، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٣) المطالب العالية: فخر الدين الرازي ١٨٩/٦.

(٤) شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني ٨٣/٣.

(٥) شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني ٤٩/٥.

"هو أن الأجسام إذا كانت متساوية في تمام الماهية، لزم جواز التخرق والتمزق على الأفلاك، وحينئذٍ يكون كل ما أخبر به الأنبياء من أحوال القيامة جائزاً ممكناً"[١]. ومبني هذا الدليل راجعٌ كذلك إلى قضية الجواهر الفردة، وثبوت إحاطة علم الله وقدرته بها، ذلك بأنه "إذا ثبت أن الله قادر على كل الأجزاء عالم بها جميعاً، وأن الجسم الإنساني مؤلَّف من جواهر فردة – أمكن القول بأن الله يعيد الجسم الإنساني يوم الحشر على ما كان عليه في الدنيا، إذ هو عالم بأمكنة أجزاء الجسم بعد هذا الموت، قادر على جمعها"[٢].

ولعلنا ندرك – من خلال ما سبق – ذلك الترابط الواضح بين ثبوت الجواهر الفردة، وبين الحكم على الأجسام بأنها متماثلة، ثم ما يترتب على هذه المسألة – موضوع البحث – من ثبوت أركان الإيمان الكبرى في الإسلام.

---

(١) المطالب العالية: فخر الدين الرازي ١٨٩/٦.

(٢) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: محمد صالح الزركان، ص ٤٢١، دار الفكر.

المبحث الثاني
موقف الأشاعرة من تماثل الأجسام

عندما نتحدث عن "تماثل الأجسام" في الجسمية فمقصدنا من ذلك (أنها من حيث هي أجسام – متحدة في الطبيعة، ومن ثمّ فكل ما يقبله أحدها من الأحكام فبالإمكان أنْ يقبله الآخر. ويعبَّر عن هذا المعنى أيضاً بكلمات أخرى كـ "اشتراك الأجسام"، و "تساوي الأجسام" و "تجانس الأجسام" و"تماثل الجواهر" و "تجانس الجواهر")[١].

وعلماء الأشاعرة يحكمون على الأجسام بأنها متماثلة أو متجانسة، وهذا – أيضاً – مذهب أغلب المعتزلة "خلافاً للنظَّام حيث شرط في تجانسها تماثل أعراضها لمقولة: إن الجواهر أعراض مجتمعة وهي مختلفة – فلا يمكن تماثل الجواهر عنده"[٢].

يقول الإمام الأشعري في "المقالات": "واختلف الناس: هل الجواهر جنس واحد؟.. فقال قائلون: جوهر العالم جوهر واحد، وأن الجواهر إنما تختلف وتتفق بما فيها من الأعراض.. وهذا قول أصحاب أرسطاطاليس.

وقال قائلون: الجواهر أجناس متضادة منها بياض ومنها سواد.. ومنها حرارة ومنها برودة.. وكان يقول: الحيوان كله جنس واحد وهذا قول النظَّام"[٣].

---

(١) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: محمد صالح الزركان، ص ٤٠٧.

(٢) الكامل في اختصار الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين الجويني: ابن الأمير، ص ١٩٩، تحقيق: جمال عبدالناصر، دار السلام للطباعة والنشر، ط: الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

(٣) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري ٢/٢٣٩، ٢٤٠.

وقد سرد الإمام الأشعري سبعة أقاويل في هذه المسألة، دون أنْ يبدي رأياً خاصاً به[١]**، لكنَّ شيخ المتكلمين:** ابن فورك (ت ٤٠٦هـ) قد حكى عنه أنه في هذه المسألة "كان يقول: إن الأجسام جنس واحد، وإن اللطيف منها من جنس الكثيف، وإنما يقال "كثيف" للأجزاء المتراكمة فتكثف بكثرة أجزائها، وتلطف برقتها وقلتها"[٢]، ويؤكدُ على هذا المعنى أئمة الأشاعرة في مصنفاتهم، حيث يقول البغدادي: "قال أصحابنا بتجانس الأجسام كلها، وقالوا إن اختلافها في الصورة وفي سائر الأحكام إنما هو لاختلاف الأعراض القائمة بها"[٣]، ويقول الإمام الجويني:

"الجواهر متجانسة عند أهل الحق، وإليه صار كافة المعتزلة وخالف النظَّام في ذلك فلم يحكم بتماثل الجواهر"[٤].

- **الأدلة على تماثل الأجسام:**

يحكم جمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة على الأجسام بأنها متماثلة ومتجانسة ويستدلون على ذلك بمجموعة من الأدلة، ويمكن بيان أهمها فيما يلي:

الدليل الأول: أن أجزاء الجسم ليست إلا الجواهر الفردة وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف حقيقة[٥]، ومن ثمّ لمّا قال المتكلمون إنه يتركب من جواهر فردة،

---

(١) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: محمد صالح الزركان، ص ٤٠٧، ٤٠٨ (بتصرف).

(٢) مقالات الشيخ/ أبي الحسن الأشعري: محمد بن الحسن بن فورك، ص ٢١٥.

(٣) أصول الدين: عبد القاهر البغدادي، ص ٥٤، مطبعة الدولة، استانبول، ط: الأولى ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

(٤) الشامل في أصول الدين: الجويني، ص ١٥٣.

(٥) شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني ٣/٨٣.

وهي متماثلة في الحقيقة، قالوا إن الأجسام متماثلة في الحقيقة، والاختلاف بينها بالأعراض[١]، يقول العلامة التفتازاني: "والمتكلمون على أنها متماثلة لا تختلف إلا بالعوارض المستندة إلى القادر المختار؛ لتماثل الجواهر الفردة فيجوز على كلٍّ ما يجوز على الآخر"[٢].

الدليل الثاني: اشتراك جميع الجواهر في صفات نفس الجواهر وهي: التحيز، وقبول الأعراض، والقيام بنفسه[٣]، فعلى سبيل المثال: الهواء والنار جوهران متساويان في صفتي نفسيهما، إذ كل واحد منهما يجب له التحيز وقبول الأعراض على الجملة، ويجوز تقدير قيام أوصاف النار وأعراضها بالهواء، فإن من أخص أعراض النار حرارتها، ولا يبعد أن يحمى الهواء حتى يصير في مثل حرارة النار، وكذلك لا يبعد أن يبدع الله (ﷻ) في الهواء لون النار، إذ ما يقبل لوناً يقبل كل لون، وكذلك لهيب النار مما لا يبعد تصويره في الهواء، فقد وضح بذلك جواز اتصاف الهواء بجميع أعراض النار، واستبان أنه يجوز على كل واحد منهما ما يجوز على الآخر، وإذا ثبت أنه يجب لكل واحد من الجوهرين التحيز وسائر صفات النفس، ويجوز أن يقبل أحدهما أجناس أعراض الثاني، فهذا ما نعنيه بالتماثل[٤].

---

(١) القول السديد في علم التوحيد: الشيخ/ محمود أبو دقيقة ١٧٢/١، تحقيق: د/ عوض الله حجازي، الإدارة العامة لإحياء التراث، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٢) متن تهذيب المنطق والكلام: سعد الدين التفتازاني، ص ٦٠، مطبعة السعادة، مصر، ط: الأولى ١٣٣٠هـ، ١٩١٢م.

(٣) أبكار الأفكار: سيف الدين الآمدي ٣٦/٣.

(٤) الشامل في أصول الدين: الجويني، ص ١٥٤، ١٥٥ (بتصرف).

الدليل الثالث: على تماثل الأجسام عبَّــر عنــه الإمــام البغــدادي بقولــه: "ودليل هذا القول أن أعظم أنواع الاختلاف بين الأجسام ما نراه من الاخــتلاف بين الأرض والماء والنار والهواء، وما نراه مــن الاخــتلاف بــين الحيــوان والجمادات وأنواع النبات، وهذه الأنواع مع اختلافهــا فــي الصــورة واللــون والطعم والرائحة والوزن يستحيل بعضها إلى بعض، لأن الأرض تنحل فتصير ماء كالملح إذا ذاب، والماء في بعض البقاع يجمد فيصير حجراً والحجــر مــن جنس الأرض. وقد ينعقد الماء فيصير ملحاً والملح من جنس الأرض السَّــبْخة المالحة.. والهواء قد ينعقد فيصير بخاراً وسحاباً ثم يقطر منه المطر، والقطــرة من الماء إذا صبت على الصفحة المحماة بالنار صارت بخاراً وهواء، والحيوان والنبات إذا أُحْرِقا صارا رمادين والرماد من جنس الأرض، فدلّت استحالة هــذه الأصول بعضها إلى بعض أنها في الأصل جنس واحــد، وأنّ اختلافهــا فــي الصورة لاختلاف الأعراض القائمة بها"(١).

الدليل الرابع: وهو من أدلة المعتزلة على تماثل الأجســام، حيــث قــالوا: "لو كان الجوهران مختلفين لكانا مفترقين في صفة من الصفات؛ لأن الاختلاف لا يصح مع الاشتراك في سائر الصفات، وقد عرفنا أنه لا صفة تحصُل لبعض الجواهر إلا والآخر يشاركه فيها، أو يصح أن يشاركه فيهــا. بيــان ذلــك: أن صفات الجواهر أربع، وهي: كونها جواهر، وتحيّزها، ووجودها، وكونها كائنــة في المحاذيات التي تحصل فيها. وقد عرفنا أنها مشتركة في كونهــا جــواهر، ومشتركة في التحيز عند الوجود، ولا جهة يحْصلُ فيها جوهر إلا ويجــوز أنْ ينتقل عنها ويحصل فيها غيره، فيكون مشاركاً له في الصفة التي كان حاصــلاً

---

(١) أصول الدين: عبد القاهر البغدادي، ص ٥٤، ٥٥.

عليها من قبل. وإذا كان كذلك وجب القضاءُ بأنها متماثلة"[1].

تلك هي أبرز أدلة المتكلمين –معتزلة وأشعرية – على تماثل الأجسام، وهي أدلةٌ قريبةٌ في المعاني والعبارات، ومعظمها يستند إلى ما في الأجسام من صفات ذاتية تمثِّل قاسماً مشتركاً بين كافة الجواهر، والتي هي الأهم في تحقيق معنى التماثل.

---

(١) المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين: أبو رشيد النيسابوري المعتزلي، ص ٣٤، تحقيق: د/ معن زيادة، د/ رضوان السيد، معهد الانماء العربي، طرابلس، ط: الأولى ١٩٧٩م.

المبحث الثالث
موقف النظّام من تماثل الأجسام

مرَّ بنا ما يفيد بأن الأشاعرة وغالبية المعتزلة قالوا "بتجانس الأجسام كلهـــا، وقالوا إن اختلافها في الصورة وفي سائر الأحكام إنما هو لاختلاف الأعــراض القائمة بها"(١).

بينما خالف النظَّام في ذلك فلــم يحكــم بتماثــل الجــواهر إلا إذا تماثلــت أعراضها(٢).

وقد استند النظَّام في حكمه على الأجسام والجواهر بأنها مختلفة إلى دليلــين رئيسين:

الدليل الأول: أن الجواهر أعراض مجتمعة:

بيان هذا الدليل: أنّ الأعراض في أصل معناها: هي التي لا يصح بقاؤها، وهي التي تعرض في الجواهر والأجسام وتبطُل في ثاني حالِ وجودها، والدليل على أن هذا فائدة وصفها بأنها أعراض: قوله تعالى: ﴿...تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ ... ٦٧﴾(٣) فسمَّى الأموال أعراضاً إذ كان آخرها إلى الزوال والبطلان، وقول أهل اللغة عَرَض بفلانٍ عارض مِنْ حُمى أو جنون إذا لم يدُم به ذلك(٤)، وبقريب من هذا نجد المعتزلة يقولون في العرَض: إنه مما يعرض

---

(١) أصول الدين: البغدادي، ص ٥٤.

(٢) الشامل في أصول الدين: الجويني، ص ١٥٣ (بتصرف).

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٤) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل: أبو بكر الباقلاني، ص ٣٨.

في الوجود ولا يجب له من اللبْث ما للجواهر[١]، ويذهب النظَّام إلى أن الأعراض تُسمّى بهذا الاسم "لأنها تعترض في الأجسام وتقوم بها"[٢]، فعنده أن العرض: هو ما يعترض في الجسم ويقوم به [٣].

ولكنْ لأنَّ النظَّام لم ينظر إلى "الجزء الذي لا يتجزأ" كعنصر مكوِّن للجسم، هذا من جهة، ولم يشك في وجود أجسام محسوسة ملموسة من جهة أخرى، فقد ترتب على ذلك أنه قال: إن الجسم هو مجموعة أعراض أو إحساسات نشعر بها، فردَّ جميع الأعراض إلى أجسام[٤]، وكان يثبت الألوان والطعوم، والأراييح والأصوات والآلام، والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أجساماً لطافاً، ويزعم أن حيّز اللون هو حيّز الطعم والرائحة، وأن الأجسام اللطاف قد تحل في حيّز واحد، وكان لا يُثبِت عرضاً إلا الحركة فقط[٥]. فالجسم عند النظَّام إذن نوعان: جسم كثيف وجسم لطيف؛ أما الجسم الكثيف فهو الجسم الطبيعي القابل للتشكل في طول وعرض وعمق، وأما الجسم اللطيف فهو ما اعتدنا أن نطلق عليه اسم "العرَض"[٦]، يقول د/ أبو ريدة: "وينكر النظَّام أن يوجد العرَض العرَض لا في مكان أو يحدث لا في جسم، على أننا ينبغي أن نلاحظ أن النظَّام إنما نفى الأعراض باعتبار أنها أعراض، أي موجودات غير جسمية، فهو يقول

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبدالجبار ١٦٦/٦، تحقيق: د/محمود قاسم.

(٢) مقالات الإسلاميين: الأشعري ٢٧٥/٢.

(٣) إبراهيم بن سيَّار النظَّام وآراؤه الكلامية الفلسفية: د/محمد عبدالهادي أبو ريدة، ص ١١٧.

(٤) فلسفة المعتزلة: د/ البير نصري نادر ١٧٢/١ (بتصرف).

(٥) مقالات الإسلاميين ٢٦١/٢.

(٦) إبراهيم بن سيَّار النظّام بين الفلسفة وعلم الكلام: د/ فرج بالحاج، ص ٨٦، الدار التونسية للكتاب، ط: الأولى ٢٠١٤م (بتصرف).

إنَّ ما يُسمى أعراضاً هو أجسام لطيفة، ولو أردنا أن نتصور ماهية الأعراض التي أنكرها النظَّام لعسر علينا ذلك، إذ العرض شيء مجرد تأباه نزعة النظَّام الحسية، وإذن يصبح العالم المادي بعد إنكار الأعراض وتجسيم كل ما في الوجود المحسوس عبارةً عن مادة وحركة(١).

وعلى هذا؛ فالذي نستطيع أنْ نفهمه من قول النظّام: إن الأجسام أعــراضٌ مجتمعة، أنه يعني بهذا أن الأجسام اللطيفة – التي نسميها نحن بــالأعراض – تمثِّل العناصر الأوليّة التي ينتج من انضمام بعضها لبعض تكوين الأجسام، فهذه الأجسام اللطيفة هي عنده بمثابة الجواهر الفردة لدى جمهور المتكلمين.

- **مناقشة ونقد:**

تعرَّضت دعوى النظّام القائلة بأن الجــوهر والجســم أعــراض مجتمعــة لانتقادات كثيرة صدرت عن جمهرة من المتكلمين، أشــاعرة ومعتزلــة، ومــن أبرزها ما يلي:

أولاً: من الشبه التي اعتمد الخصم عليها في دعواه بأن الجــوهر أعــراض مجتمعة، قوله: لو قدَّرنا انتفاء الأعراض كان في تقدير انتفائها انتفاء الجــوهر، وكذلك لو قدَّرنا عدم الجوهر، استحال مع هذا التقدير بقاء الأعراض، فدلّ على أن الأعراض عين الجوهر(٢). والحق في الجواب: أن الجوهر إنما ينتفي عنــد انتفاء الأعراض لامتناع بقائه بدونها لا أنه عين الأعراض، كما يلزم من عــدم الظل عدم الجسم، ولا يلزم من ذلك أن يكون الجسم هو عين ظله، وعامة قــول

(١) إبراهيم بن سيَّار النظّام وآراؤه الكلامية والفلسفية: د/ محمد عبــدالهادي أبــو ريــدة، ص ١١٩.

(٢) الشامل في أصول الدين: الجويني، ص ١٥٣.

الخصم أن الجوهر والعرض في الجملة متلازمان في الوجود، ولا ننكــره [(١)]، يقول إمام الحرمين: "ما من ضرب من ضروب الأعــراض نشــير إليهــا، إلا ويجوز عندنا تقدير عدمها مع بقاء الجوهر، بأن يعقبهــا أمثالهــا أو أضــدادها المخالفة لها، فبطل ما ادعوه من أن الأعراض لو عدمت عدم الجوهر"[(٢)].

ثانياً: يقال لمن زعم أن الجسم أعراض مجتمعة، هل اجتمعــت لأنفســها أو لمعنى سواها ؟ فإن اجتمعت في أنفسها استحال الافتراق عليها، وقد يتبدل لــون الجسم مع كونه على الطعم الأول، ويتبدل طعمه مع كونه على الوصــف الأول في جنسه. فإن كان اللون والطعم يجتمعان باجتماع يقوم بهما وجب من هذا قيام العرض بالعرض[(٣)]، وإذا كان الاجتماع عرضاً وقد اجتمع مع اللون والطعــم، وجب عليهم أن يكون اجتماع هذه الثلاثة لاجتماع آخر، ثم كذلك حتى يتسلســل إلى اجتماعات لا نهاية لها، وهذا ممتنع[(٤)].

ثالثاً: من المعلوم أن اللون عرضٌ يقوم بالجواهر، غير أن النظَّام قد أثبتــه جسماً، ويدل على إبطال كونه جسماً وجوه منها: أنه لو كان جسماً للزم صــحة إدراكه لمساً لأنه إذا كان أحد الإدراكين يثبت في الجوهر لمثل مَــا لــه يثبــت

---

(١) الكامل في اختصار الشامل: ابن الأمير، ص ١٩٩.

(٢) الشامل في أصول الدين: الجويني، ص ١٥٣.

(٣) لا يجوز قيام العرض بالعرض عند المتكلمين، مستدلين على ذلك: بــأن معنــى قيــام الشيء بالمحلِّ أنه تابع للمحلِّ في التحيز، فالمحلُّ يجب أن يكون متحيزاً بالذات ليصــحَّ كون الشيء تابعاً له في التحيز، والمتحيز بالذات ليس إلا الجــوهر (نشــر الطوالــع: أبو بكر المرعشي، ص ٢٠٠، تحقيق: محمد يوســف إدريــس، دار النــور المبــين للدراسات والنشر، الأردن، ط: الأولى ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

(٤) أصول الدين: البغدادي، ص ٤٩، ٥٠ (بتصرف).

الآخر وهو تحيزه، فيجب في اللون – إذا كان جسماً – أن يشـاركه فـي هـذه القضية لأنه يثبت له ما لأجله يدرك الجوهر بطريقين وهو التحيز، ثم إن اللون هو الهيئة التي يدرك عليها الجسم، ولا شبهة في ثبوته من جهة الإدراك بالعين، ومن ثمّ لا يجوز أن يكون كالجوهر في إدراكه لمساً، لأنه لو جاز ذلـك لكـان يجب وقوع التفرقة بين الأسود والأبيض كوقوع الفصل بين الطويل والقصـير من الأجسام، ومعلوم فساد ذلك، فيجب أن يكون إدراكه مقصوراً علـى حاسـة واحدة (١).

رابعاً: الجوهر متحيز وفاقاً، فلا يخلو خصومنا في العَرَض الواحد، إمـا أن يقولوا: أنه متحيز شاغل للحيز أو يأبون ذلك، فإن أثبتوا العرَض الواحد متحيزاً كان ذلك باطلاً: لأنه لو كان متحيزاً لاختص ببعض الجهات، واحتاج إلى كون يخصصه، وفيه تجويز قيام العرض بالعرض، وهو ممتنع، كذلك فـإن حقيقـة الجوهر: أنه المتحيز، فمن أثبت متحيزاً فقد أثبت جوهراً، وآل الكلام معه إلـى التسمية والتناقش فيها.

وإن سلَّم الخصم أن العرَض الواحد لا يتحيز، فإذا قدَّر اجتماعهما، قيل له: لا تخلو الأعراض إما أن وجدت بِحَيْث عرض واحد، وإما أن وجد كل عرض بحيث نفسه. فإن وجدت الأعراض بحيث عرض واحد، فذلك الواحد إن كان متحيزاً، فهو جوهر قامت به أعراض سمَّاه الخصم عرضاً، وإن كان ذلك الواحد غير متحيز، فالذي وُجد بحيث هو في حكمه قطعاً، وإن زعم الخصم أن الأعراض لا توجد بحيث عرض واحد؛ فلا معنى لاجتماعها، فإن كل عرض

(١) التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض: الحسن بن متويه المعتزلـي، ص ٢٤٨: ٢٥٠ (بتصرف).

منفرد بنفسه، وإذا ثبت أن أفرادها لا تتحيز ولا تشغل الأحياز، فلا يتصور فيها التضّام، إذ إنما يتصور التضام عن موجودين مختصين بحيزين ليس بينهما تقدير حيّز آخر لموجود، فوضح بطلان ما قالوه من كل وجه [1].

الدليل الثاني: الجواهر بذاتها متضادة:

وبيان هذا الدليل: يقتضي منا أن نعود إلى فكرة الجواهر والأعراض وصلتها بحدوث العالم، ذلك بأن: العالَم عند جمهور المتكلمين يتكون من الجواهر والأعراض التي تتكون من مجموعهما الأجسام، والجوهر الفرد حادث، وهو أصغر جزء تصل إليه الأجسام بالانقسام، وقد اتخذ المتكلمون من إثبات حدوث الجواهر والأعراض دليلاً على إثبات حدوث العالم، ثم الانتقال من ذلك إلى الهدف الأساسي لهم وهو إثبات وجود الخالق (ﷻ)، غير أن النظَّام لم يرتضِ هذا الدليل، ولجأ في إثبات حدوث العالم واحتياجه إلى محدِث إلى دليل الأضداد، وخلاصة هذا الدليل: أنّ في العالَم أشياء متضادة بالطبع، لكنها مجتمعة ومقهورة على غير طباعها، وهذا دليل على ضعفها وحدوثها، ووجود محدِث لها وهو الله (ﷻ)[2]، وقد حكى الخيَّاط المعتزلي عن النظَّام استشهاده بهذا الدليل حيث قال: "قال إبراهيم: وجدتُ الحرّ مضاداً للبرد، ووجدت الضدين لا يجتمعان في موضع واحد من ذات أنفسهما، فعلمتُ بوجودي لهما مجتمعين أن لهما جامعاً جمعهما وقاهراً قهرهما على خلاف شأنهما، وما جرى عليه القهر والمنع فضعيف، وضعفه ونفوذ تدبير قاهِرِه فيه دليل على حدثه، وعلى

---

(١) الشامل في أصول الدين: الجويني، ص ١٤٨، ١٤٩ (بتصرف).

(٢) أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي: د/ محمود محمد عيد نفيسة، ص ٣٤٠، ٣٥٨، دار النوادر، دمشق، ط: الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م (بتصرف).

أن محدِثاً أحدثه.. وهو الله رب العالمين"[1].

وانطلاقاً من إيمان النظَّام بهذه الدلالة نراه قد ذهب إلى أن: العالّم مكوَّن من أجسام مختلفة، وجواهر متضادة، من خفيفٍ شأنه الصعود وثقيل شأنه الهبوط وحيّ متحرك بنفسه، وميت يحركه غيره[2]، ويحكي الإمام الأشعري مذهب النظَّام في هذا الشأن، فيقول: "قال النظام: الأعراض لا تتضاد، والتضاد إنما هو بين الأجسام كالحرارة والبرودة، والسواد والبياض، والحلاوة والحموضة، وهذه كلها أجسام متفاسدة يُفْسِد بعضُها بعضاً، وكذلك كل جسمين متفاسدين فهما متضادان"[3]. وبقريب من هذا قال الآمدي: "قالا – أي النظَّام والنجار[4]–: ولهذا فإنا ندرك الاختلاف بين بعض الجواهر؛ كالاختلاف الواقع بين النار والهواء والماء والتراب ضرورة، كما ندرك الاختلاف بين السواد والبياض، والحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة.."[5].

---

(١) الانتصار: الخياط، ص ٤٦، وينظر: أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي، ص ٣٥٨.

(٢) ينظر: الانتصار: الخياط، ص ٤٠، إبراهيم بن سيَّار النظّام وآراؤه الكلامية والفلسفية، ص ١١٣.

(٣) مقالات الإسلاميين ٢/٢٧٩.

(٤) **النَّجَّار:** الحسين بن محمد النجار، أبو عبد الله: رأس الفرقة "النجارية" من المعتزلة، وإليه نسبتها. كان حائكا، من أهل قم، وهو من متكلمي "المجبرة"، وله مع النظام عدة مناظرات. وأكثر المعتزلة في الريّ وجهاتها من النجارية، وتوفي نحو ٢٢٠هـ (الأعلام: الزركلي ٢/٢٥٣).

(٥) أبكار الأفكار: الآمدي ٣/٣٦.

- **مناقشة ونقد:**

ينكر علماء الأشاعرة على "النظَّام" قوله بفكـرة التضـاد بـين الجـواهر، ويحتجون عليه بأمور متعددة، من أهمها ما يلي:

أولاً: من الأمور التي قررها الأشاعرة أنه ليس هناك تضاد بين الجـواهر، بيان ذلك: أنهم عرَّفوا الضدين بأنهما: "كل معنيين يستحيل اجتماعهما في محـلٍ واحد لذاتيهما من جهة واحدة"(١). وتعقيباً على هذا التعريف يقول الإمام الآمدي: " قولنا: معنيان: احترازاً عن الوجود والعدم.. والجواهر بعضها مـع بعـض، والجواهر مع الأعراض، والقديم مع الحادث؛ فإنها غير متضادة"(٢).

ثانياً: إن الجواهر متماثلة لاستوائها في صفات الأنفس(٣)، إذ لا يستبدّ جوهر عن جوهر بالتحيز وقبول الأعراض إلى غير ذلك من صفات الأنفـس، وقـد يختص بعض الجواهر بضروب من الأعراض يجوز أمثالها في سائر الجواهر. فخرج من ذلك أن اختصاص الشيء ببعض الصفات الجائزة علـى مماثلـه لا يقدح في مماثلته له، فإن الشيء يماثل ما يماثله لنفسه، فيراعى في حكم المماثلة صفات الأنفس(٤).

ثالثاً: إن ما ندركه من الاختلاف بين الجواهر؛ كالاختلاف الواقع بين النـار والهواء، والماء والتراب، لا نسلِّم أنه عائد إلى اختلاف الجواهر في أنفسها؛ بل

---

(١) أبكار الأفكار: الآمدي ٣/٢٨١.

(٢) أبكار الأفكار: الآمدي ٣/٢٨١.

(٣) **المقصود من القول بصفة النفس:** كل صفة إثبات لنفس لازمة ما بقيت النفس، غيـر معللة بعلل قائمة بالموصوف (فلسفة الكلام عند إمام الحـرمين الجـويني: د/ أشـرف حرفوش، ص ٦٣، الحكمة، دمشق، ط: الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م).

(٤) الإرشاد: الجويني، ص ٣٦.

هو عائد إلى الأعراض القائمة بها، واختلاف الأعراض لا يدل على اختلاف المعروض له في نفسه[1].

رابعاً: هناك من الأعراض ما خصَّصَهُ الله ببعض الجواهر لزوماً، وقد ظنَّ البعض أنها من صفات أنفُسِها، إذ لم يشاهدوا الجوهر إلا كذلك فقالوا لذلك: إن الجواهر مختلفة الأجناس؛ فإن جوهر النار صورَتُهُ الحرارة، وجوهرَ الهواء صورَتُهُ الرطوبة، وجوهرَ الماء صورَتُهُ البرودة، وجوهرَ الأرض صورَتُهُ اليُبوسة، ونحن نقول: إنما خصَّص الله بعض الصُّور ببعض الجواهر عادةً لا وجوباً، ويجوز أن يُكسى جوهرُ الماء صورة النار خرْقاً للعادة، وكذلك تُكسى صورةُ الأرض جوهر الهواء خرقاً لهذه العادة[2].

هكذا أقام علماء الأشاعرة الحجة على إبراهيم النظام ودحضوا رأيه وأدلته التي تحدث فيها عن تخالف الأجسام وعدم تماثلها، وبيَّن أهل السنة أن ما قرره في هذا الشأن لا يخلو من ضعفٍ، كما أنه لا يثبت أمام برهان العقل، وضوء الحق، ونور اليقين.

---

(١) أبكار الأفكار: الآمدي ٣٦/٣.

(٢) الغُنية في الكلام: أبو القاسم الأنصاري ٢٩٤/١، تحقيق: مصطفى حسنين عبدالهادي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م (بتصرف).

الخاتمة

في ختام هذا البحث تتضح لنا جملة من النتائج من أهمها ما يلي:

أولاً: تعدُّ مسألة "تماثل الأجسام" من دقيق المسائل الكلامية، حيث تُوصف بعض مسائل هذا العلم بـ "دقيق الكلام"؛ وهو مصطلح يطلق على الجزء الغامض من قضايا علم الكلام؛ الذي يحتاج النظر فيه إلى التدقيق والفهم العميق.

ثانياً: لم يكن خوض المتكلمين في مسائل دقيق الكلام أمراً مقصوداً في ذاته؛ بل دعاهم لذلك طبيعة الجدل الذي دار بينهم وبين خصومهم المتشبعين بالنظر العقلي.

ثالثاً: خالف إبراهيم النظَّام جموع المتكلمين في قضية "تماثل الأجسام"، وذهب إلى امتناع تحقق التماثل بين شيئين أصلاً، وقد فنَّد الأشاعرة مقالته، وقرروا: أنّ التماثل أمرٌ متحقق بين كل موجودين مشتركين في الصفات الذاتية.

رابعاً: توجَّه علماء الكلام نحو نظرية الجوهر الفرد؛ الذي هو العنصر المكوِّن لأقل الأقسام في الجسم الطبيعي، وأثبتوا من خلال تماثل الجواهر الفردة أن الأجسام متماثلة، ثم كان استدلالهم الأكبر بهذه النظرية على أن العالَم حادث، وأن الله (ﷻ) أزليٌ قديم، وهذا أمرٌ يتوافق مع القاعدة الإسلامية الكبرى التي تقرر أن جميع الموجودات حادثة، وأنه لا بدَّ لها من محدِثٍ وخالق.

خامساً: أشار هذا البحث إلى أن الجوهر الفرد – الذي يمثِّل وحدة بناء الجسم عند المتكلمين – ليس هو بعينه مفهوم "الذرة" المعروف في علم الفيزياء الحديثة، بل هناك فارقٌ بين الأمرين، وأنَّ ثمة دلائل توصَّلَ إليها علماء الفيزياء تؤيِّد مذهب الأشاعرة في إثبات الجزء الذي لا يتجزأ، وبناءً على هذا فإنَّ قضية تماثل الأجسام – المبنية على إثبات الجوهر الفرد – توافقها معطيات العلم

الحديث.

سادساً: لا تزال نتائج البحث العلمي تزيدنا يقيناً في تراثنا الكلامي، وتؤكـدُ على أنَّ علماء الكلام قد جاء تصوُّرهم للعالم وأجزائه تصوُّراً متكاملاً من خلال معارفهم المتعددة: الطبيعية والعقلية والميتافيزيقية.

وختاماً: أسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم بن سيَّار النظّام بين الفلسفة وعلم الكلام: د/ فرج بالحـاج، الـدار التونسية للكتاب، ط: الأولى ٢٠١٤م.

٢. إبراهيم بن سيَّار النظَّام وآراؤه الكلامية الفلسـفية: د/ محمـد عبـدالهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٣. أبكار الأفكار في أصول الدين: سيف الدين الآمدي، تحقيق: د/ أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الثانيـة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٤. أبو الهذيل العلاف "أول متكلم إسلامي تـأثر بالفلسـفة": علـى مصـطفى الغرابي، مطبعة حجازي، مصر، ط: الأولى ١٣٦٩هـ، ١٩٤٩م

٥. أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي: د/ محمود محمد عيد نفيسـة، دار النوادر، دمشق، ط: الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٦. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: إمـام الحـرمين الجـويني، تحقيق: د/ محمد يوسف موسى، علي عبدالمنعم عبدالحميد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م.

٧. أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي: المهندس أحمـد عبـد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الثانية ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٨. أصول الدين: عبد القاهر البغدادي، مطبعة الدولة، اسـتانبول، ط: الأولـى ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

٩. الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلـم للملايـين، ط: الخامسـة عشـر ٢٠٠٢م.

١٠. أمالي المرتضى: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط: الأولى ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م.
١١. الانتصار: أبو الحسين الخياط المعتزلي، تحقيق: د/ نيبرج، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط: الأولى ١٣٤٤هـ، ١٩٢٥م
١٢. باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل: أحمد بن يحيى المرتضى، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣١٦هـ.
١٣. بنية العقل العربي: د/ محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط: التاسعة ٢٠٠٩م.
١٤. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين الذهبي، تحقيق: د/ بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ٢٠٠٣م.
١٥. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
١٦. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: أبو المظفر الأسفراييني، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٧. التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض: الحسن بن متويه المعتزلي، تحقيق: سامي نصر لطف، د/ فيصل بدير عون، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.
١٨. التصور الذري في الفكر الفلسفي الإسلامي: د/ منى أحمد أبو زيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى

١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٩. التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م
٢٠. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: القاضي أبوبكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٢١. الحدود في الأصول: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، تحقيق: محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٩م.
٢٢. خلق الكون بين العلم والإيمان: د/ محمد باسل الطائي، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٢٣. دقيق الكلام "الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة": د/ محمد باسل الطائي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠١٠م.
٢٤. ديوان الأصول: أبو رشيد سعيد بن محمد النيسابوري، تحقيق: د/ محمد عبدالهادي أبو ريدة، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (بدون تاريخ).
٢٥. رسالة استحسان الخوض في علم الكلام: أبو الحسن الأشعري، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٢٦. الشامل في أصول الدين: إمام الحرمين الجويني، تحقيق: علي سامي النشار وآخرين، منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٦٩م.
٢٧. شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د/ عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط: الثانية ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م

٢٨. شرح المواقف: الشريف علي الجرجاني، ضبط وتصحيح: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٩. ضحى الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: السابعة.

٣٠. طبقات النحويين واللغويين: محمد بن الحسن الإشبيلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط: الثانية.

٣١. الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل: د/ يمنى طريف الخولي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

٣٢. طوالع الأنوار من مطالع الأنظار: ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: عباس سليمان، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٣٣. عالم الذرة الغريب: شاكر الكراوي، دار تِسراس للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، ط: الأولى ٢٠٢١م.

٣٤. الغنية في أصول الدين: أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد، المتولي الشافعي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٧م.

٣٥. الغُنية في الكلام: أبو القاسم الأنصاري، تحقيق: مصطفى حسنين عبدالهادي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٣٦. فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: محمد صالح الزركان، دار الفكر.

٣٧. الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيــروت، ط: الثانية ١٩٧٧م.
٣٨. الفِصَل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي، مكتبة الخــانجي، القاهرة.
٣٩. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: أبو القاسم البلخي، القاضي عبدالجبار، الحاكم الجشمي، تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر (بدون تاريخ).
٤٠. فلسفة الجوهر الفرد في علم الكلام الإسلامي "دراســة مقارنــة بالذريــة اليونانية": د/ فرج بالحاج، الدار التونسية للكتاب، ط: الأولى ٢٠١٤م.
٤١. فلسفة الكلام عند إمام الحرمين الجويني: د/ أشرف حرفــوش، الحكمــة، دمشق، ط: الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٤٢. فلسفة المعتزلة: د/ البير نصــري نــادر، مطبعــة دار نشــر الثقافــة، الاسكندرية.
٤٣. في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية "المعتزلة": د/ أحمــد محمود صبحي، دار النهضة العربية، بيــروت، ط: الخامســة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٤٤. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقــوب الفيروزآبــادى، تحقيــق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م
٤٥. القول السديد في علم التوحيد: الشيخ/ محمود أبو دقيقة، تحقيق: د/ عوض الله حجازي، الإدارة العامة لإحياء التراث، مجمع البحــوث الإســلامية، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٤٦. الكامل في اختصار الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين الجويني: ابن

الأمير، تحقيق: جمال عبدالناصر، دار السلام للطباعة والنشر، ط: الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٤٧. كتاب الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط: الأولى ١٣٦٢هـ، ١٩٤٣م.

٤٨. كتاب العين: الخليل بن أحمد، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.

٤٩. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي، تحقيق: د/ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٦م.

٥٠. لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.

٥١. المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين: سيف الدين الآمدي، تحقيق: د/ حسن الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الثانية ١٣١٣هـ، ١٩٩٣م.

٥٢. متن تهذيب المنطق والكلام: سعد الدين التفتازاني، مطبعة السعادة، مصر، ط: الأولى ١٣٣٠هـ، ١٩١٢م.

٥٣. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٥٤. المختصر الكلامي: الإمام محمد بن محمد بن عرفة التونسي، تحقيق: نزار حمَّادي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، (بدون تاريخ).

٥٥. مذاهب الإسلاميين: د/ عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧م.

٥٦. المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين: أبو رشيد النيسابوري المعتزلي، تحقيق: د/ معن زيادة، د/ رضوان السيد، معهد الانماء العربي، طرابلس، ط: الأولى ١٩٧٩م.
٥٧. المطالب العالية من العلم الإلهي: فخر الدين الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٥٨. المعتزلة والفكر الحر: د/ عادل العوا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: الأولى.
٥٩. معجزة الذرة: يحيى هارون، ترجمة: أحمد ممتاز سلطان، مراجعة: مصطفى الستيتي "بدون تاريخ".
٦٠. معجم اللغة العربية المعاصرة: د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩هـ.
٦١. المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، تحقيق: د/ محمود قاسم.
٦٢. مقال بعنوان: حائط بلانك: النقطة التي توقف عندها العلم بقلم: شهاب صبري، مصر، تاريخ النشر: ٢٠٢١/١/١٩م، موقع كابوس، الانترنت.
٦٣. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٦٤. مقالات الشيخ/ أبي الحسن الأشعري: محمد بن الحسن بن فورك، تحقيق: د/ أحمد عبدالرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.
٦٥. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ.

٦٦. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.
٦٧. نشأة الفلسفة العلمية: هانز ريشينباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠م.
٦٨. نشر الطوالع: أبو بكر المرعشي، تحقيق: محمد يوسف إدريس، دار النور المبين للدراسات والنشر، الأردن، ط: الأولى ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
٦٩. نظرية التكليف آراء القاضي عبدالجبار الكلامية: د/ عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة.
٧٠. نظرية الجوهر الفرد الكلامية وتفريعاتها الوجودية والعقدية في ضوء العلم الحديث: خالد الدرفوفي، مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، المملكة المغربية.
٧١. الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات



